طاغية البعث

في مياه الخليج

أحمد بهجت

الزهراء للإعلام العربي

إهـــــــداء٢٠٠٧

اسرة المرحوم الدكتور / السيد عبد الحليم الريات

جمهورية مصر العربية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم

فصلت ٣٣

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

طاغيـة البعـث

فى ميـاه الخليـج

أحمد بهجت

الزهراء للإعلام العربى

إهـــداء

إلى الشعب الكويتي الممتحن .

وإلى إخوتنا فيه .

إلى شيخ الصحافة وعميدها :

عبد العزيز فهد المساعيد

إلى رجل الإعلام :

د . عبد العزيز المنصور

إلى الصديق سعود العمر .

إلى الصديق عبد الله السميط .

أحمد بهجت

كلمة الناشر

كان الأستاذ أحمد بهجت أحد الكتاب القليلين في العالم العربي الذين لم يخدعهم صدام حسين بأساليبه المتعددة المختلفة . وظل رأيه فيه ثابتًا لم يتغير أبدًا في أي لحظة من الوقت . وقف ضده والعالم كله معه . نقده وأظهر جرائمه في وقت لم يستطع فيه غير القلة أن يجهروا بهذا وسط جو خانق وإعلام موجه ، بحيث لا يملك كاتب حر أن يجهر بما يعتقد دون خوف أو وجل .

ولعل صدق « أحمد بهجت » مع نفسه ومع قرائه هو الذي جعله لا يهادن ولا يتملق وأن يقول رأيه في وضوح ليعلم الناس ويخبرهم بما غمض عليهم . وإن لم يستطع أو حيل بينه وبين ذلك فهو يصمت على مضض . ولا يقول كلمة

واحدة يخالف بها ضميره ، أو يتناقض فيها مع ما يعتقد . ورأيه في « صدام حسين » ليس بالجديد أو المفاجأة كما قلنا فهو هكذا طوال الوقت . وهو يتناول المستبد ويظهر عوراته للناس حتى يعرفوه ولا يخطئوه في أي صورة كانت ، ويكتب برشاقة وعبارة لاذعة ساخرة تنزل على ظهور المستبدين كالسياط اللاذعة ، ولا تملك رغم مرارة الموضوع إلا أن تبتسم للسخرية البالغة في عباراته البليغة وأخيلته الساحرة إن جاز التعبير .

نحن ضد الاستبداد والمستبدين ولعل كلماتنا تنقل الناس إلى أفق رحيب ليس فيه ظلم أو قسوة حيث تسود الحرية ويأخذ المواطن حقه من العدل والإنصاف في عالم ضيعه الظلم وخربه الاستبداد ولن يستعيد مكانته إلا بالعدل والحرية .

وإن أكبر المستبدين في بلادنا لهو « صدام حسين » ، اجتاح الكويت ضاربًا بالعهود والمواثيق عرض الحائط ، لم يأخذ في اعتباره حق الجوار ولا وحدة العقيدة ، ولم يعترف بسابق الجميل من أولئك الذين غزاهم ونكبهم ، وجريمته

ليست ضد الكويت إنما هي ضد العرب والمسلمين والإنسانية كلها ، ومن هنا يجب الوقوف ضده ، والعمل على القضاء عليه ، وهذه هي أول خطوة نحو مستقبل جديد .

18 / 10 / 1990

أحمد رائف

* * *

مقدمـــة

يوم 2 أغسطس استيقظ العالم على مفاجأة عسكرية تمثلت في غزو العراق لأرض الكويت ، واحتلاله لها ..

ويمكن القول إن شكل العالم قد تغير بعد الغزو عما كان قبله ..

لم يفاجئني غزو العراق للكويت وإن أدهشتني جسارة تنفيذه .

كنت قد كتبت قبل الغزو بعشرة أيام كلمة ساخرة بعنوان : « الذئب والحمل » .. ثم كلمة أخرى بعنوان : « الزلنطحي » ، وقد فهم القراء جميعًا أنني أقصد بالزلنطحي الرئيس العراقي صدام حسين .. رغم أنني لم أورد اسمه ولا ذكرت سيرته ..

لم يكن الغزو مفاجأة لي إذن ..

كانت المفاجأة الحقيقية هي رد فعل العالم كله على الغزو ... للمرة الأولى في عالم الوفاق يتحد العالم بأجمعه على الوقوف ضد هذا الغزو ، وللمرة الأولى بعد الوفاق تبدأ أمريكا في حشد قواتها العسكرية وإرسالها إلى السعودية بعد أن حشد صدام حسين جيوشه على حدود السعودية وبدأ يهددها ..

* * *

ومضت أحداث الدراما تجري بسرعة وعنف .. توحد العالم إزاءها .. وانقسم العرب كعادتهم ، وقيل بعد ذلك بوجود اتفاق أو شبه اتفاق سابق بين الملك حسين وصدام حسين على الغزو ، وما لبثت اليمن والسودان أن انضمتا إلى جبهة صدام ، سواء من مسافة بعيدة .. أو عن قرب وطبقًا للمصالح الخاصة ، أو طبقًا لاتفاقات الرؤساء ..

ووقفت مصر في صف الشرعية القانونية .. كان الموقف المصري مشرفًا .. ومترفعًا .. وكريمًا ..

إن بعض الدول التي وقفت في معسكر صدام وقفت بالأجر أو بوعود براقة تشير إلى أجر غال بعد أن يتم نهب الكويت ويبدأ تشغيل بترولها لحساب العراق ..

ومثلما انقسمت الدول العربية انقسمت الجماعات الدينية فيها ، فسارت مجموعات من الجماعات خلف صدام حسين ..

ونجح صدام حسين في تغيير جلده بالسرعة التي كانت تقتضيها ظروف الوقت أو مصالح اللحظة الراهنة .

بعد أن حمل لواء حزب البعث سنوات طويلة ، قضى فيها على خصومه الدينيين والاجتماعيين والسياسيين ، ووقف فيها من الدين موقف العلمانيين المتسم بالشك والكراهية والاضطهاد ..

بعد ذلك ارتدى عباءة الدين وأعلن أنه يوحد الأمة العربية ، وأنه يأخذ نقود أمراء البترول لتوزيعها على فقراء المسلمين الجائعين ..

ومضى المخدوعون وراء هذه الدعاوى البراقة الكاذبة التي يصعب أن تقنع إنسانًا مكتمل الوعي ..

ولكن هذه الدعاوى أقنعت بعض الجماعات الدينية ومضت اللحى الكثة في مظاهرات تهتف بحياة الطاغية ، وكانت هذه قمة المأساة في تصوري .

أن يهتف الضحايا لجلادهم ، وأن يتغنوا باسم قاتلهم ..

وارتفعت نغمة جديدة تتحدث عن الاحتلال العسكري الأمريكي (إشارة إلى القوات الأمريكية التي جاءت إلى المنطقة بناء على دعوة من المملكة العربية السعودية) ومضت معظم الجماعات الدينية في بيان خطر وجود هذه القوات ، ولم يعد الحديث يجري عن الكويت ، بل وصار بعض الكتاب والحزبيين يتحدثون عن احتلال الكويت كأمر واقع أو كمشكلة أكاديمية بحتة ..

ومثلما انقسمت الجماعات الدينية انقسمت الأحزاب في مصر ..

أما حزب الوفد فقد وقف نفس الموقف المشرف الذي وقفته الحكومة المصرية ، وكتب جمال بدوي رئيس تحرير جريدة الوفد مجموعة من المقالات النارية ضد بغي صدام حسين ، ولم يخن الجريدة وعيها في أي لحظة من لحظات

الأزمة .. وكان هذا دليلاً على الوعي السياسي لهذا الحزب .

أما جريدة الشعب التي يرأس تحريرها عادل حسين فقد وقفت بصراحة مع وجهة نظر العراق ، وكان موقف الجريدة محزنًا للغاية .. ولقد انشق الحزب من داخله حين رفض وكيل الحزب وهو رجل فاضل وسياسي محنك ، هو المهندس محمد درة ، أن يوقع على بيان الحزب ، وأصدر بيانًا مختلفًا نشره في جريدة الأهرام ، وخرج به على موقف الحزب الذي كان يتبنى وجهة نظر العراق .

وأحسب أن جريدة الشعب قد خسرت عند القراء جزءًا من رصيدها في الحكمة وبعد النظر ..

وأعتقد ــ وهذا رأيي الشخصي ــ أن عادل حسين قد صعقنا بموقفه الذي لم نفهمه في هذه الأزمة ، لقد انحاز قلمه ووقف مع الباطل ، وهو المعروف بالعدالة والنزاهة .

على أي حال .. نحن لا ندع خلاف الرأي يفسد قضية الود .

* * *

شقت أزمة الخليج الدول العربية ، أيضًا شقت الجماعات الدينية والصحافة والرأي العام في مجتمعات الدول العربية ، ووحدت موقف العالم إزاء أزمة الخليج ..

ووسط هذه المياه المتلاطمة والفتنة التي تدع الحليم حيران .. كان علي أن أكتب عمودي اليومي في صندوق الدنيا .. وهو واجب شاق في الظروف الطبيعية ، وأشد مشقة في ظروف الأزمة ..

وهذا الكتاب هو ثمرة لما كتبته في جريدة الأهرام اليومية ، وبعض الصحف العربية كالحياة ، وبعض المجلات المصرية كالشباب .. وقد حرصت على تقديم رأيي ورأي من كتب إلي من المثقفين والمفكرين والصفوة .

وقد جمعت هذا كله في الكتاب الذي يراه القارىء بين يديه ..

وأحب أن أحدث القارىء عن منهجي الذي اتبعته .. والمنطق الذي أخذت به ..

لقد وقفت بحسم كامل ضد صدام حسين ..

لم أصدق دعاواه في توحيد العالم العربي ، ولم أصدق مزاعمه في نبل غاياته وكيف يأخذ من أمراء النفط ليعطي فقراء المسلمين ، ولم أصدق ادعاءاته في ضرب إسرائيل ، ولو كان جادًا لفعل .. ولم أصدق ما قاله حول الحقوق التاريخية للعراق في الكويت .. ولم ألتفت كثيرًا لما راح يزعمه من أنه على استعداد للانسحاب من الكويت لو انسحبت إسرائيل من لبنان وفلسطين ، وكذبه ظاهر في أنه يعلق خروجه على أمر يعرف أنه لن يقع هذه الأيام ، ومن هنا فقد رفضت الانصياع للمخدوعين الذين تصوروا أن صدام حسين هو غاريبالدي العالم العربي الذي أشرق أخيرًا من وراء ظلمات التاريخ .

لم أصدق هذا كله وبقي صدام حسين على حقيقته أمامي .. مجرد طاغية آخر من طغاة العالم العربي .. وهم كثيرون ، وأنا لا أصدق الطغاة ..

وأزعم أنني قد درست سلوك الطغاة فيما نزل به القرآن في قصة موسى وفرعون ، ودرست سلوك الطغاة عمليًا

ونظريًا في النماذج التي أسفر عنها العالم العربي بوجه خاص ..

أو أسفر عنها العالم بوجه عام ..

ولقد ثبت بالتجارب الحياتية أن الطغاة يتجملون للناس بصفات ليست فيهم ، وأهداف ليست أهدافهم ، ونوايا ليست نواياهم ...

إنهم يكذبون بيسر كما يتنفسون بيسر .. وهم يزينون للناس الإثم كما يزينه الشيطان ، ثم إنهم أخيرًا يقودون الناس إلى الدمار والتحطيم ، ومن هنا فإن الوقوف ضدهم هو مهمة بالغة الأهمية والحيوية ، لأنه وقوف في صف الشعوب في نهاية الأمر .

إن معظم مآسي الأمة العربية الإسلامية تنبع من غياب الحرية ، وسيادة الحكم المطلق أو الديكتاتوري أو الشمولي ..

ومن هنا فإنني أؤمن أن مقاومة الطغيان ــ بكل أشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية ــ هي واجب المفكرين والكتاب ..

وهو واجب حاولته ولست أزعم أنني أجدته . أو أحسنت فيه .

أسأل الله تعالى العفو والقبول .

أحمد بهجت

* * *

الذئب والحمل

الأهرام 20 يوليو 1990

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، يحكى أن ذئبًا وقف يشرب من النهر في مكان مرتفع فشاهد حملاً وديعًا يشرب الماء من مكان منخفض في نفس النهر .

قال الذئب للحمل : لقد عكرت على الماء .

قال الحمل : كيف أعكر عليك الماء وأنت تقف في مكان مرتفع تجري منه المياه ، وأنا أقف في مكان منخفض تأتي إليه المياه .

قال الذئب : اصمت أيها الحمل ولا تناقش .. لقد عكرت علي الماء .. لا تحاول أن تفلت من التهمة فهي ثابتة ومؤكدة وأنا أحكم فيها بضمير القاضي النزيه .

قال الحمل وهو يرفع رأسه حوله مستشهدًا بعناصر الطبيعة ومخاطبًا لها :

ــ أيها الهواء الذي لم يكذب أبدًا .. أيها الماء الذي لم يعرف الخداع .. أيها التراب الذي لم يرتكب خطيئة قط .. ماذا أفعل في هذا الذئب الذي يرمي بجثته على شخصي الضعيف ، ويدعي أنني عكرت عليه الماء ؟ .

قالت عناصر الطبيعة : هذا ذئب زلنطحي فعلاً .. وهو مشهور بالغدر والقتل .. إن هوايته هي الافتراس .. ولكنه رغم هوايته يملك مواهب عديدة .. إنه يتلون كالحرباء كلما اقتضت الظروف .. وها هو يرتدي مسوح القضاة ويدعي أن الحمل عكر عليه الماء .

في القصة القديمة أكل الذئب الحمل ، ولكن الدنيا تتغير والذئاب الزلنطحية اليوم قد تطورت ، ولم يعد التهام الضحية هو أسلوبها في الحياة ، إنما أصبح ابتزاز الضحية هو الأسلوب الأمثل .

إن التهام الضحية يعني انتهاء النفع بها ، أما ابتزازها فيعني

توسيع دائرة الانتفاع .

مشكلة الذئب الزلنطحي أنه يتصور نفسه هو الذئب الوحيد في العالم ، ولكن الغابة كبيرة والعالم متسع .. وهو يمتلىء بالنمور والدببة والأفيال الزلنطحية ، وفي صراع البقاء يمكن أن يلتهمه من هو أضخم منه وأكبر .

والحق أن السياسة الزلنطحية تنتشر في غابة العالم ، وهي توشك أن تصير قانونًا من قوانين العصر .

بعد هذه المقدمة يحسن بنا أن نسأل عن معنى زلنطحي ، وهذا يقتضي إجراء بحث لغوي عن معنى الكلمة .

* * *

بحث في الزلنطحي

الاهرام 21 يوليو 990

من التعبيرات العامية التي ترسم صورة سريعة للشخصية بكلمة واحدة : تعبير الزلنطحي .. والزلنطحي صفة إلى جوار أنها أسلوب حياة ، وهي صفة مركبة، فالزلنطحي هو مزيج من البلطجي .. والأونطجي .. والزنديق .. واللص .. وإن كان الزلنطحي يزيد عليهم جميعًا في أشياء ، ولا يقل عنهم في شيء ..

وفي كل زلنطحي جزء من البلطجة .. وشيء من الأونطة .. وكثير من الزندقة واللصوصية ..

ويحتاج الزلنطحي إلى صوت جهوري جبار ، وموهبة تمثيلية متوسطة ، وهو يبدأ تمثيليته عادة بزعقة هائلة يلم بها الناس ويسترعي انتباههم .. إنه يصرخ في البداية : لقد

سرقني اللصوص .. ويسأله الناس مشفقين : من الذي سرقك؟ .

ويلتفت الزلنطحي حوله وينتقي واحدًا من الأغنياء الطيبين المسالمين ليرمي جثته عليه ، فهو يشير إليه ويمسك بتلابيبه ويستمر في صراخه أن هذا هو السارق ..

ويندهش الناس ، فهم يعلمون أن هذا المتهم بالسرقة غني وليس من طباعه السرقة ، بل إنهم ليعلمون أن هذا المتهم بالسرقة قد أقرض الزلنطحي كثيرًا فكيف تسرق اليد العليا من اليد السفلى ؟ .

إن المنطق المعتاد لا يتوافر هنا ولكن الزلنطحي يقلب المنطق ويبعث تقاليد الذئب القديم الذي صرخ في الحمل إنه عكر عليه الماء .. ويلتف الناس حول الزلنطحي وهو يتواثب بالغضب ، ويهدد بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .. ويسأله أحد الواقفين : ماذا تريد أيها الزلنطحي الطيب ؟ .

عندئذ يسفر الزلنطحي عن وجهه الحقيقي ويصرخ أنه

لا يريد سوى حقه ، ويتدخل أولاد الحلال في الموضوع ، وينتهي الأمر بأن يفلت الزلنطحي من دينه .

هذه هي الصورة الكلاسيكية للزلنطحي .. وهذا هو أسلوب حياته .

* * *

الصف العربي

الأهرام 2 أغسطس 1990

كنت في الأسبوع الثاني من عمري حين سمعت لأول مرة عن الصف العربي ، كنت يومئذ أرضع فانشغلت بالتهام اللبن عن سماع ما قيل عن الصف العربي ، وأفلتت مني فرصة اكتشاف الموضوع .

وفي العام الثاني من عمري سمعت أيضًا عن الصف العربي ، وكان الكلام يدور حول تأكيد أهمية الصف العربي ، لم أفهم أيضًا بسبب صغر سني .

وفي العام الخامس عشر من عمري سمعت أن جدلاً يدور حول الصف العربي ، وفهمت أن هناك شيئًا غامضًا يتصل بهذا الصف .

هل هو صف فعلا .. أم دائرة .. أم مثلث .. أم مستطيل ؟ .

اختلفت آراء الفقهاء حول حقيقة الصف العربي، وحسمًا للخلاف وارتفاعًا لمستوى المسئولية التاريخية تقرر اعتبار الصف العربي صفًا يأخذ شكل دائرة مثلثة من رأسها ومستطيلة من قاعدتها .

وحين وصلت إلى الثلاثين من عمري كان الصف العربي موضع حديث الجميع ، وكان الحديث يدور حول وحدة الصف العربي هذه المرة ، وقد احتفل في احتفال شعبي ورسمي بإضافة كلمة الوحدة إليه واعتبارها وصفًا من أوصافه .. ولكن الخلاف نشأ حول مقولتين .. هل نقول إن وحدة الصف العربي سبب أم نتيجة .. وإذا كانت سببًا فلماذا هي سبب وليست نتيجة ، وإذا كانت نتيجة فلماذا هي نتيجة وليست سببًا .

وقد وقع اشتباك في الصف العربي حول النقطة التي أسلفنا الإشارة إليها ، وكان الضحية عدة آلاف من القتلى والجرحى .

وكبرت وكَبُرت معي حكاية الصف العربي .. وحين

وصلت إلى الخمسين من عمري كان الحوار يدور حول المارد العربي لا الصف العربي ، ولم أعرف هل المارد العربي هو الصف العربي أو قريب له .. ابن عمه أوابن خالته مثلاً ، أم إنه ظل وخيال للصف العربي ذاته ؟ وتجاوزنا الخمسين وتقدمنا في السن .. وها نحن نقترب من الموت ولم نعرف بعد ما هو الصف العربي ، ولا عرفنا علاقته بالمارد العربي ، ولا عرفنا أيضًا هل وحدته سبب أم نتيجة ، وأيضًا لم نعرف أين ذهب الصف العربي ولماذا خرج ولم يعد ؟.. إن الغموض يتكاثف على البحث ، والأمل أن يرى أحفادنا في عصرهم ما فشلنا في رؤيته في عصرنا .

* * *

أول يوم

الأهرام 3 أغسطس 1990

لم يظهر صندوق الدنيا في أول أيام الأزمة لسبب طريف .. اتصل بي زميل من الأهرام وقال لي : كلمتك في صندوق الدنيا غدًا ، ألا يمكن تأجيلها يومًا واحدًا .

قلت له : لماذا ؟ .

قال : إن موقف الحكومة المصرية لم يتضح بعد .. ونشر الكلمة يمكن أن يوحي بموقف للدولة أو الحكومة .

قلت له : هل أنا الحكومة .. إنني مجرد كاتب له رأي ..

قال : إنني مشفق من نشر الكلمة .

قلت له : ولا يهمك .. أجلها إلى الغد .

قال : هل تكتب بدلاً منها كلمة أخرى .

قلت له : لا ..

وهكذا اختفى صندوق الدنيا أول أيام الأزمة .

* * *

هذا الغــزو

الأهرام 4 أغسطس 1990

أحرق النظام العراقي وجهه كنظام عربي بهذا الغزو المفاجيء للكويت ، وأثبت أنه يتبنى سياسة العدوان والغدر ، ويحاول أن يجعل من واقع العدوان قانونًا يحكم المعاملات الدولية .

أيضًا لطخ النظام العراقي صورة العالم العربي كله أمام العالم ، وأثبت أنه عالم متخلف تسكنه الفوضى ويعيش فيه القبضايات ، ولا يستطيع أن يحل مشاكله عن طريق المفاوضات شأن العالم المتحضر .

ولقد أحس رجل الشارع في مصر بالحزن العميق والغضب كما تعاطف الناس مع شعب الكويت وحكومته .

إنهم يسمون الكويت لؤلؤة الخليج .

وها هي اللؤلؤة تواجه الخطر .

ومن المؤسف أن يحدث هذا كله في عالم يتحول من حكم الهوى إلى حكم القانون ، ومن تسلط الطاغية الفرد إلى رحابة الديمقراطية التعددية ، ومن النزاع بالسلاح إلى موائد المفاوضات .

في هذا الوقت الذي تهب فيه رياح الحرية والتغيير الديمقراطي على العالم كله يتحرك نظام عربي في جوف الظلام ليحتل أرض دولة عربية أخرى ، ودولة لها مواقفها المشرفة في أزمات العالم ومشاكله ولها عونها ومساعداتها للعالم .

صحيح أن الكويت دولة صغيرة الحجم ، ولعل صغر حجم الدولة هو الذي شجع على العدوان عليها ، ولكن الدول لا تقاس بحجمها المادي فحسب .

ودولة الكويت ليست صغيرة بأي مقياس أدبي أو معنوي ، وسوف يسفر غزو الكويت عن فشل الغزو وتراجعه .

وستبقى الصورة السيئة عالقة بذهن العالم زمنًا طويلاً .

نحن نعيش في عالم لم يعد يقبل العدوان كأسلوب .

إن الغزو لا يرتب حقًا ، لأنه اعتداء يأخذ شكل القوة المسلحة .

يجب على العالم العربي أن يقف وقفة صلبة في وجه هذا الغزو ويدينه ، مثلما أدانه العالم المتحضر كله .

نحن نرفض غزو العراق للكويت .. تمامًا مثل رفضنا أن يتحول العالم إلى غابة .

* * *

ثالث يوم

الأهرام 5 أغسطس 1990

اختفى الصندوق في هذا اليوم أيضًا فقد
كتبت عن ضباط أعدمهم صدام حسين ،
وكان الخبر قد كذبه العراق يومئذ ثم اتضح
صدقه فيما بعد .

* * *

إنجازات الغزو العراقي

الأهرام 6 أغسطس 1990

نجح الغزو العراقي للكويت في تحقيق الإنجازات التالية :

أولا : صرف الغزو أنظار العالم عن قضية توطين المهاجرين السوفييت ، وأفسح المجال لإسرائيل أن تعيد ترتيب بيتها من الداخل بشكل يتيح لها قوة أفضل .

ثانيًا : صرف الغزو أنظار العالم عن عمليات التنكيل والإبادة التي يوقعها جيش الدفاع الإسرائيلي على المقاومة الفلسطينية في الداخل .

ثالثًا : أثبت الغزو أن العالم العربي ، بكل اتفاقياته ومجالسه الرباعية والثلاثية والخماسية .. أثبت أن هذا كله حبر على ورق .

رابعًا : أعاد الغزو ترتيب الدول العربية فأصبح العراق هو نمر منطقة الخليج ، وأصبحت بقية الدول العربية قططًا صغيرة تموء على استحياء وتتحرك نحو الغذاء في وداعة وبهدوء حتى لا تزعج الأم وهي نائمة .

خامسًا : أتاح الغزو للعالم الخارجي أن يتدخل في المنطقة العربية بشكل أشد وضوحًا وإسفارًا من تدخله السابق .

سادسًا : أثبت الغزو أن إسرائيل ليست هي مشكلة المنطقة ، وليست هي مصدر المشاكل الوحيد فيها .

سابعًا : أثبت الغزو أن المشكلة الفلسطينية ليست هي القضية الرئيسية في المنطقة .. وأن الحروب العربية الإسرائيلية ليست هي سبب التوتر في المنطقة ، وأن سبب التوتر الحقيقي هو الحروب العربية ــ العربية .

ثامنًا : أظهر الغزو أن العالم العربي عالم لا يعرف حقائق العصر ، ولا وعي لديه بالتغييرات التي وقعت .. عالم مثل عالم الهنود الحمر .. لا مكان له في الحياة ، ومكانه الوحيد هو متحف التاريخ .

تاسعًا : استطاع الغزو بعد نهب الكويت أن يوفر مرتبات الموظفين في العراق ستة أشهر أخرى ، وبعد ذلك يكون فيها الفرج أو لايكون .. إذ يمكن شن سطو آخر في أي مكان آخر وتوفير المرتبات .

هذه بعض إنجازات الغزو العراقي للكويت ، نضعها أمام أنظار العرب ليعرف العرب أي خدمة يؤديها هذا الغزو لأعداء الأمة العربية .

* * *

نحـن .. وهـم

الأهرام 7 أغسطس 990

الأستاذ / أحمد بهجت

تحية طيبة وبعد ..

بينما كانت العراق المسلمة تتأهب لغزو الكويت المسـلمة أقر موشى أرينز نوعًا جديدًا من الرصاص لتجربته في أجساد نسائنا وأطفالنا في فلسطين .. فمن الرصاص المعدني إلى المطاطي إلى البلاستيكي ظهر أخيرًا الرصاص الرملي .

وبينما كان مسلمو العراق يقتلون مسلمي الكويت ، ومسلمو أمل يتقاتلون بوحشية مع مسلمي حزب الله .. كان جنود إسرائيل يقتلون الأجنة في أرحام الأمهات بأعقاب البنادق والغاز السام حتى بلغ عددهم في يوم واحد 11 ،

وفي الأسبوع الماضي 34 جنينًا .

وبينما تتجه الحكومة المؤقتة في الكويت إلى قطع العلاقات مع الأنظمة العربية الفاسدة التي تؤيد الحكومة المخلوعة .. تقوم إسرائيل بتدريب كلابها على كبح الانتفاضة لعل الكلاب تنجح فيما أخفق فيه الإنسان .

وبينما ينشغل العرب والعالم بأحداث الغزو كان وفد إسرائيلي عالي المستوى يبحث في أثيوبيا أربعة أمور :

1 ــ تهجير الفلاشا لاغتصاب المزيد من أراضي المسلمين في فلسطين ولبنان .

2 ــ حصول إسرائيل على تسهيلات عسكرية في عدة مناطق تطل على البحر الأحمر .

3 ــ حصول أثيوبيا على قنابل عنقودية وكتيبة دبابات لقتل مسلمي إريتريا .

4 ــ تولي إسرائيل إنشاء مصنع أثيوبي لإنتاج البندقية الإسرائيلية الآلية « جليل » وإنشاء خط تجميع طائرات

« كفير » الإسرائيلية .

وعلى حين يستغل الغرب أي جريمة يرتكبها عربي مخبول لكي يعاملونا على أساسها كأمة واحدة ، نصر نحن على أن نظل أمة ممزقة .

وقد أعلن منذ أيام في إحدى الدول الشقيقة عن «قيام التجمع العربي القومي الديمقراطي الذي يهدف إلى تجميع القوى الماركسية والقومية في إطار جبهوي » .

وهكذا مزيدًا من التيه والضياع ، فمتى نعتصم بالحبل الذي أمرنا الله تعالى به ، ولماذا نصر على التفريط فيه والنظر إليه بعين الشك والتربص ؟ .

هل نحن أمة تحتضر ؟ .

أم أن الأوان قد فات وعلينا أن نترحم على أنفسنا .

د . صلاح عز ـــ هندسة القاهرة

الثعلب والحديقــة

الأهرام 8 أغسطس 1990

في قديم الزمان وجديده ، وفي سالف العصر والأوان وحاضره .. يحكى أن ثعلبًا ماكرًا قرر السطو على حديقة .. وكان لهذه الحديقة سور حديدي يلتف حولها ويحميها من اللصوص والثعالب .

ولكن الثعلب كان ذكيًا وماكرًا أيضًا ، ومن هنا فقد قرر غزو الحديقة .

وهكذا تسلل الثعلب من بين قضبان السور ، وكان نحيلا وجائعًا فنجح في أن ينفذ إلى الحديقة ، دخل الثعلب الحديقة ووقف يتأمل الأشجار والثمار وجداول المياه وعشش الدجاج ، وسال لعابه وقال : لقد أصبحت الحديقة كلها ملكي .

كان القمر يرسل أشعته الفضية على الحديقة ، وكان الليل هادئًا وساجيًا .. وسار الثعلب في الحديقة ومضى يلتهم الثمار والدجاج ويسرق كل ما تقع عليه عينه ، ويخبىء ما سرقه في بطنه . كان بطن الثعلب صغيرًا ولكنه مضى يكبر مع الوقت .. واستمر الثعلب يجري هنا وهناك ، ملتهمًا كل ما يستطيع التهامه ، محطمًا كل ما يستطيع تحطيمه ، حتى إذا تنفس الصبح وبدأت أشعة النهار تنتشر فكر الثعلب في نفسه .

يجب أن أخرج قبل أن يستيقظ أصحاب الحديقة ، وتستيقظ معهم الدنيا كلها ويكتشف الجميع ما حدث .

وأسرع الثعلب إلى السور الذي دخل منه وحاول أن يخرج منه ، ولكنه وجد ذلك مستحيلاً .. كان الثعلب قد أكل وزاد حجمه وكبر بطنه إلى الحد الذي لم يعد فيه قادرًا على الخروج .

ومضى الثعلب يجاهد للخروج ، حشر نفسه بين قضيبين حديديين وراح يبذل كل قوته لينفذ من الثغرة ولكنه فشل ،

ومضت أصوات النهار ترتفع ، وصرخ أصحاب الحديقة فاجتمع حولهم الناس ، وأسرعوا يبحثون عن الثعلب المتسلل ، فوجدوه محشورًا في السور الذي دخل منه ولم يستطع الخروج ، وارتفعت الأيدي بالعصي وهوت على الثعلب ، وهكذا هلك الثعلب الماكر حين لم يحسب عواقب فعلته ودخل حيث لا يستطيع الخروج .. وزنق نفسه هذه الزنقة .

* * *

حـوار

الأهرام 9 أغسطس 1990

كان الحوار يدور بيني وبين المهندس محمد حسن درة ، وهو رجل فاضل حكيم .

قال لي : إن ما يحدث في الدنيا من أحداث هي دروس للناس ، وهي دروس إما أن يستفيد منها الناس .. وإما أن تمر أمامهم فلا يرون عبرتها ولا يستطيعون النفاذ إليها .

وقد أورد القرآن ـــ بجلاء ناصع ـــ ما يفيد أن لهذا الكون سننًا وقوانين لا تتبدل ولا تتغير .

من هذه القوانين أن مخالفة أمر الله طريق إلى العذاب والفتنة .

قال تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن**

تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

هذه القوانين في جملتها تتصل بالتعامل مع الله والتعامل مع الذات والتعامل مع الآخرين .. التعامل مع الله بالتوحيد ، ومع الذات بالصدق ، ومع الآخرين بالعدل والأخوة .. يقول الله تعالى :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ .

سألني المهندس محمد حسن درة .. هل نتبع هذا القانون .. ؟ فكرت بيني وبين نفسي وقلت له : لا .

قال : هذا أحد أسرار مأساتنا التي نعيشها اليوم ، وهي مأساة وقعت بسبب مخالفتنا لقانون من قوانين الله ، وركوننا إلى هوانا الخاص ومن هنا انطبق علينا جزاء الفتنة أو العذاب ، وقد حذرنا الله تعالى من الركون إلى الذين ظلموا .. قال

تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ .

ومضى الرجل يقول : إن القوانين المادية تنطبق على المادة فلا تفلت منها مادة وكذلك القوانين الكونية أو النواميس الإلهية إنها تنطبق على عالم المادة وعالم الروح وهي تؤثر فيهما وتخضعهما معًا لقوانينها .

إن اختلاط الحق بالباطل لا يصنع حياة عادلة ، والأمر بقتال من بغى من الإخوة عدل لازم إن أسقطناه سقط معنا العدل واختلطت الأمور ، وهذه سنة من سنن الله .

* * *

هذه المآسي كلها

الأهرام 10 أغسطس 1990

كان الله في عون الكويت .

إن سلسلة من المآسي تلتف حوله هذه الأيام بسبب غزو العراق لأرضه .

أولى هذه المآسي سكان الكويت الذين كانوا في الكويت ساعة الغزو .. لقد استيقظوا في الصباح على بائع الموت بدلاً من بائع اللبن .. وعلى الطرد من البيت بدلاً من تناول الإفطار ، وعلى مواجهة طريق تقف فيه دبابة تهددك بالموت بدلاً من سيارة تنقلك إلى عملك .

إن الجيوش حين تدخل المدن تتحول ـــ رغم التعليمات المشددة ـــ إلى قطاع طرق في مهمة سطو تتوافر له كل

عوامل الأمان . إنك تسطو وأنت تمسك رشاشًا على أسرة ترتعش في ملابس النوم ورعب المفاجأة ولا تملك إلا أن تتنازل عن ذهبها ونقودها هدية لحامل الرشاش لكي ينصرف .

تصور رعب مدينة محتلة .. يعبث فيها جيش جاء ليبقى مع السكان أو لينوب عنهم في البقاء وحبذا لو رحلوا هم .

تصوروا مأساة سكان الكويت الذين كانوا خارج الكويت حين وقع الاحتلال لبلادهم ..

تصور أن تنام غنيًا مطمئنًا وتستيقظ فقيرًا لاجئًا .. وأنت في مصيف .. أو في غربة .. وليست معك نقود كافية ، وأنت لا تستطيع العودة إلى بلدك .. وأنت لا تعرف متى تنتهي هذه المشكلة .. ولا تعرف أين تذهب ولا كيف تعيش ولا ماذا تفعل ؟ .

ثم تخيل أن ما معك من النقود قد انهار سعره في لحظة .. كان الدينار الكويتي بثلاثة دولارات ونصف دولار فأصبح بدولار أو نصف .

إن العاملين في الكويت من المصريين والعرب قد أضيروا جميعًا بانهيار سعر الدينار ، وضاعت عليهم سنوات عمرهم بكل جهدهم وشقائهم في لحظة طيش عسكري ..

تصوروا مأساة الذين حوصروا في الكويت أو خارجه في الطرق البرية أو المطارات ولا يعرفون متى يعودون إلى بلادهم ولا متى يغادرهم الحصار .. إن مأساة ارتفاع سعر البترول وحده تعني ارتفاع أسعار كل شيء وهذه مأساة تصيب العالم العربي وغير العربي ..

من المستفيد من هذا كله ؟ .

* * *

شـريعة الغاب

الأهرام 11 أغسطس 1990

استطعت أن أحصل لكم على نسخة نادرة من شريعة « الغاب » مستغلاً صلاتي الوثيقة بعالم الحيوان .. وتتكون شريعة الغاب من عدة مواد تقول : المادة الأولى : للقوي الحق في التهام الضعيف لقمة بعد لقمة ، أو في لقمة واحدة .. كل واحد حسب طاقته واتساع كرشه .. المادة الثانية : القوة فوق الحق ، والإرهاب فوق المنطق ، وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء أو السماء .

المادة الثالثة : الأمر الواقع هو العدل ، وكل من يستطيع تغيير الأمر الواقع بمخالبه وأنيابه يصير ما فعله عدلاً ، لأن رمز العدل في شريعة الغاب هو الأنياب والمخالب .

المادة الرابعة : فكر دائمًا أن هناك من يريد أن يتعشى

بك ، تغد به أنت قبل أن يتعشى بك .

المادة الخامسة : نم بعين مفتوحة وأخرى نصف مغمضة ، لأنك لا تضمن أن يلتهمك أحد وأنت نائم .

المادة السادسة : أسرع بالاعتداء وأسرع بالبطش والهجوم لأن نصف النصر في الضربة الأولى ..

المادة السابعة : أكذب بحرارة وصدق ، وأخدع بنعومة ولطف ، وكن مقنعًا وأنت تفعل هذا كله .

المادة الثامنة : لا تأمن لأحد ، ولا تثق في أحد ، وليكن الشك هو نبراسك في الحياة ودليلك فيها .

هذه هي المواد الأساسية في شريعة الغاب ، وهي تبدو واضحة في هذه المحاولة التاريخية لإعادة شريعة الغاب إلى عرشها الذي هجرته . هل يقدر لنا أن نشهد نجاح المحاولة في عصرنا ؟ .

إن معظم الخبراء يرون أن من الصعب نجاح المحاولة ، إن كل جهد يبذله الإنسان في التحضر ، والإنسانية والخضوع

لقواعد القانون هو ابتعاد عن شريعة الغاب ، ويمكن القول إننا نعيش في عالم يحاول أن يكون عالمًا متحضرًا .. وبالتالي فإن بعث شريعة الغاب فيه ، هو أمر في غاية الصعوبة .. إن الحكم الديكتاتوري ينسحب من العالم ، والشعوب لم تعد تقبل وجود طاغية يفكر لها أو يغامر باسمها أو يقودها إلى الجحيم وهو يتصور أنه يقودها إلى المجد .. وفي ظل هذه الظروف الجديدة ، سوف يصعب كثيرًا تطبيق شريعة الغاب .. إن المحاولة كما يقول المراقبون قد جاءت متأخرة قرنًا أو قرنين من الزمان .

* * *

التحــدي

الأهرام 12 أغسطس 90

يتحدى العراق المجتمع الدولي كله بهذا الإصرار على ابتلاع الكويت ، ففي ظل نظام عالمي يسعى نحو احترام القانون الدولي والتفاهم ، تقوم دولة عربية هي العراق بغزو دولة عربية أخرى هي الكويت .. وتقدم لهذا الغزو أسبابًا كاذبة وملفقة ولا تقنع طفلاً غريرًا أو سمكة ، ولقد كان العذر الذي قدمه النظام العراقي لغزو الكويت يشبه العذر الذي قاله رجل عثر عليه صاحب البيت واقفًا في دولاب ملابسه .

سأل صاحب البيت : ماذا تفعل هنا ؟ .

قال الرجل : لقد جاء بي المكوجي بطريق الخطأ .

لو جاز لأحد أن يقتنع بهذا المنطق المتهافت لاقتنعنا بمنطق

العراق في حكايته عن الثورة التي قامت في الكويت ، واستجارت به أن ينقذها من ظلم حكام الكويت ، ومن ثم فقد زعقت عليه الشهامة وأسرع لنجدة المستجير .

أما أسماء الثوار فكانت هي الليبراليون ، ثم ظهرت للثوار أسماء بعد ذلك فكانت أسماء عراقية .. ثم اتضح أنهم جنود في جيش العراق .

وأطرف ما في القصة ما لاحظه وزير الخارجية البريطاني فقد قال أن قصة الثورة المزعومة جاءت بعد الغزو فكيف تكون سببًا فيه وهي قد جاءت بعده .

بعد ذلك خرجت علينا حكومة العراق بقصة طلب الكويت للوحدة ، وهي وحدة ما يغلبها غلاب كما تقول الأغنية ، باختصار ابتلع العراق الكويت مستندًا إلى المادة الأولى من شريعة الغاب .

هذا هو الوجه الكئيب الذي يرفعه العرب في مواجهة العالم .. وهو وجه يذكر العالم بملامح الهر أدولف هتلر ،

ويذكرهم بالويلات والخراب والدمار الذي جلبه على العالم .

ويبقى سؤال .. ألم يطف بذهن الرئيس صدام حسين ، وهو السياسي العلماني البعثي المحنك الصاعد الواعد المتوعد .. ألم يطف بذهنه أنه يقف ضد العالم كله ويستفز مشاعره بهذه المحاولة في إعادة التاريخ إلى الخلف وإحياء شريعة الغاب .

* * *

الإمبرياليـة والتتـار

الأهرام 13 أغسطس 1990

تصوروا أن أخًا دخل بيت أخيه الشقيق ثم انهال عليه ضربًا بالسكين وحاول أن يقذفه من نافذة الدور الرابع إلى الشارع .. تصوروا أن الأخ المضروب استغاث بأخوة له في الدين والدم فلم يغيثوه ، صرخ عليهم فلم يتحركوا ، ناشدهم أن ينقذوه فلم يفعلوا .. هل يلام هذا الأخ لو استنجد بغريب يسير في الشارع .. هل يلام هذا الأخ لأنه لجأ إلى الغرباء والأجانب بعد أن خذله الإخوة والأقارب .. هل يقال لمن أسرع إلى الإنقاذ إنه يتدخل في الشئون الداخلية لأسرة عربية ، وأن تدخله مرفوض .

أي منطق هذا ؟..

إن ما وقع من النظام العراقي على الكويت كان بغيًا بكل

المقاييس ، وهو بغي بين إخوة ، والأمر الإلهي الصادر إلى الإخوة أن يقاتلوا الباغي حتى يفيء إلى أمر الله .

هذا النص القرآني لم يجد مسلمًا يستمع إليه ، ولم يجد مسلمًا ينفذه .. هذا الأمر الإلهي معطل عند المسلمين البررة ، ولكنه ليس معطلاً في عالم الفرنجة الكفرة . هل يلام هذا العالم حين يتحرك لقتال الباغي أم يلام الإخوة الذين يتركون الباغي يستفحل ؟ .

إن الذين يتحدثون عن الإمبريالية لا يفهمون حقيقة الموقف .. إن الإمبريالية لم تتدخل في الخليج ، إن الذي تدخل هو العالم كله شرقه وغربه وشماله وجنوبه بما فيه من إمبرياليين وشيوعيين ومسلمين ومسيحيين ومتدينين وغير متدينين .. إن العالم كله مستفز لأن وجه التتار الذي يمثله صدام حسين هو وجه يخيف العالم كله ويهدد نظامه القانوني وأمنه في الصميم .. إن ما تفعله جيوش الإمبريالية للأسف .. أقل بشاعة مما فعله جيش صدام حسين في الكويت .. إن قتل المدنيين واغتصاب النساء ونهب البيوت هو ميراث تتري

ولا علاقة له بالإسلام .

إن الإسلام ليس لافتة وليس اسمًا وليس ميراثًا وليس لعبة ، إنما هو سلوك معين ، سلوك له خصائصه وله حظه من الرقي والتحضر ، فمن أخذ بهذا السلوك كان أقرب إلى الإسلام من مسلم لا يأخذ به .

إن صدام العراق يرتدي عباءة الإسلام ويلعن الإمبريالية ، ونظامه أسوأ من الإمبريالية والإسلام برىء منه .

* * *

أوكازيون اللاجئين

الأهرام 14 أغسطس 90

في العالم العربي أوكازيون من اللاجئين .. هناك أولاً تخفيض في أسعارهم وأسعار عملاتهم .. وهناك تنوع في أصنافهم .. وهناك كثرة في عددهم .

هناك لاجئون فلسطينيون .. وهؤلاء نشأوا بسبب نشاط إسرائيل وتقاعس العرب .

وهناك لاجئون لبنانيون .. وهؤلاء جاءوا بسبب نشاط إسرائيل ونشاط الفلسطينيين وبسبب تناحر العالم العربي لا تقاعسه .

وهناك لاجئون كويتيون .. وهؤلاء نشأوا منذ عشرة أيام بصدمة من صدمات صدام العراق .

ونلاحظ من تعدد اللاجئين ووفرتهم وتنوعهم وقوع تطور على صناعة اللاجئين .

كانت إسرائيل تنفرد بهذه الصناعة في المنطقة ، وها هي دولة عربية شقيقة هي العراق تتقدم بخطوات ثابتة لتساهم بدورها في صناعة اللاجئين .

ولا يختلف المنطق العراقي هنا عن المنطق الإسرائيلي .

إن إسرائيل تزعم أن هذه الأرض التي قفزوا عليها بالاحتلال ومضوا في تغيير معالمها هي أرض الميعاد أرض آبائهم وأجدادهم ، واسألوا التاريخ إن كنتم لا تصدقون .

أيضًا يزعم جبار العراق أن الكويت أرض عراقية واسألوا كتاب الجغرافيا الذي أحرقه التتار في مكتبة بغداد ، ولكن صدام قرأه بعد أن أحرقه التتار .

ومشكلة تزايد عدد اللاجئين هي من قبيل مشكلة تكسر السهام على السهام التي أشار إليها شاعرنا القديم .

إن كل مشكلة من مشاكل اللاجئين تؤجل مشكلة

اللاجئين السابقة عليها وتجعلها مسألة تاريخية بحتة .

وهكذا تمحو المشاكل الجديدة المشاكل القديمة ، وتنشغل في المأساة الواقعة عن المآسي التي صارت جزءًا من التاريخ ، وبهذا الأسلوب يتآكل وعي الأمة كلها وتصبح فكرة اللاجئين مقبولة وواردة .

وهكذا سيسجل التاريخ أن عصرنا هو العصر الذي انتهت فيه قصة اليهودي التائه ، وبدأت فيه قصة العربي التائه .

هذا الشتات العربي الجديد مدين بوجوده لطاغية العراق صدام حسين .

* * *

الممثل القدير

الأهرام 15 أغسطس 1990

كيف استطاع صدام حسين أن يقنع بعض فصائل التيار الإسلامي في الأردن بتأييده ، وكيف خدع بعض المسلمين بادعاءاته العريضة التي تدور حول الجهاد ضد إسرائيل .. وهو جهاد وقع بالقول لا بالفعل ، وجاء من باب « طق الحنك » كما يقول إخواننا الشوام ، في حين أن جهاده الفعلي كان غزوه لأرض عربية مسلمة .

هنا يكشف صدام حسين عن موهبته كممثل قدير ، وهي موهبة وظفها في خداع المسلمين .

منذ شهر ونصف انعقد في بغداد مؤتمر لعلماء المسلمين .

وفي هذا المؤتمر وقف ديكتاتور العراق وتحدث إلى علماء

المسلمين .. كان يرتدي قناع المجاهدين ، ويتحدث بحديثهم ، ويستخدم مصطلحاتهم ، ويقول في الإسلام ما يقوله أهله وخاصته من المجاهدين والمخلصين .

وثار حماس العلماء ورضاهم إلى حد أن أحدهم وقف يقول :

ـــ إذا كانت هذه أفكار زعيم البعث فأنا أعتبر نفسي عضوًا في حزب البعث .. وهنا رد صدام حسين قائلاً بتواضع .

ـــ بل كلنا أعضاء في حزب الله ...

وفي مصر ظهرت مجلة الاعتصام « عدد يوليو » وعلى غلافها صورة لصدام حسين وجوارها عنوان يقول : تطور مفاجىء في اتجاهات الرئيس العراقي صدام حسين يبشر بالخير ويبعث الأمل .. وأفلح إن صدق .

ولهذه العبارة الأخيرة قصة .. فقد حكى حسن عاشور مدير الاعتصام لشقيقه حسين عاشور مدير المختار الإسلامي

حكاية انقلاب صدام حسين الإسلامي المفاجىء ، واستقر رأي الأخوين على الشك فيه وعدم تصديقه ، ومن ثم فقد أضافا هذه العبارة « وأفلح إن صدق » في نهاية كلامهما تحسبًا لمفاجآته .. ولقد صدق ظنهما ، فبعد ظهور المجلة بأيام كان طاغية العراق يخلع قناع المجاهد الإسلامي ويظهر بوجهه الحقيقي وهو وجه قاطع الطريق .. وهو في طريقه لغزو الكويت .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا .. كيف صدق بعض المسلمين أكاذيب الطاغية وجهاده أمام الميكروفونات .. أين وعي المسلمين السياسي والديني .. إن نظامًا في الدنيا كلها لم يحارب الإسلام وعلماء المسلمين كما فعل نظام صدام حسين البعثي العلماني .. إن الأصل المفترض في المسلم أن يكون كيِّسًا فطنًا « واعيًا وذكيًا » ولا يخدعه أحد .. ولو كان ممثلاً قديرًا .

* * *

هذه المأســاة

الأهرام 16 أغسطس 990

البغي كريه أيًا كان مصدره ، والغزو ممقوت مهما كان صاحبه ، إلا أن يكون خروجًا في سبيل الله وجهادًا لإعلاء كلمته في الأرض ..

هل غزو العراق للكويت جهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته في الأرض ، أم سطو مسلح على دولة عربية مسلمة ؟ .

هل صدام حسين مجاهد مسلم أم مغامر أفاق ؟ .

إذا كان مجاهدًا مسلمًا فلماذا اشتبك 8 سنوات في حرب مع دولة مسلمة هي إيران ، وهي حرب ضاعت فيها مئات الألوف من الأرواح وأهدرت فيها مئات الملايين من الجنيهات التي كان ينبغي أن تذهب إلى تنمية أحوال الفقراء .

وإذا كان صدام حسين قوميًا عربيًا فلماذا لم يوجه مدافعه ودباباته إلى عدو الأمة العربية ، ولماذا وجهها إلى دولة عربية هي الكويت ؟ .

نحن نكره التدخل الأجنبي في شئوننا ، ونكره الوجودَ العسكري للأجانب على أرضنا ..

وما نكرهه ونخشاه قد جاء به مغامر العراق بحركته العسكرية الطائشة .. وهي حركة يمكن أن تؤدي إلى تداعيات مخيفة تشغل منطقة الخليج كلها وتتركها خرابًا ..

إن تصرف النظام العراقي ــ غير المسئول ــ قد أعادنا إلى الوراء سنوات طويلة . وسوف يؤدي إلى تعقيدات هائلة في المنطقة كلها . وهي تعقيدات اقتصادية وعسكرية وسياسية ، وهي تعقيدات لن ينجو منها أحد في العالم العربي ، ولن يستفيد منها سوى أعداء العالم العربي .. لقد أشعل صدام حسين حربين في أقل من عشر سنوات ، حربه مع إيران ، وحربه مع الكويت .

وكانت مبادرته التي قدمها أخيرًا لحل الموقف مهاترة وليست مبادرة .. فهو يدعو إلى انسحاب جميع القوى المعتدية باستثنائه ، أي أنه يهزل في موقف الجد ، ويسخر حيث لا مجال للسخرية . إن صدام حسين يقود الشعب العراقي ويقود معه الشعب العربي كله إلى مأساة دامية ، وهي مأساة ليس لها من دون الله كاشفة .

* * *

رسالة وتعليق

الأهرام 17 أغسطس 1990

الأستاذ أحمد بهجت :

لست أول من قال بأن ما تفعله جيوش الإمبريالية أقل بشاعة مما تفعله بعض الجيوش القومية والحكومات الوطنية بأهلهم وإخوانهم في الوطن والقومية ، ولقد سمعنا هذا كثيرًا من قبل ممن قتل آباؤهم وأبناؤهم وشردت أسرهم أو ألقي بهم في غياهب السجون وظلام الاعتقال وذاقوا هوان التعذيب في بلادهم وعلى أيدي حكام وطنيين .. أو قوميين .

ولكن هذه شكاوى فردية أو جماعية تكشف عيوب مجتمعاتنا وتفرض عليها أن تعالجها بنفسها ، وأمتنا جديرة بذلك لأن لها من عقيدتها وشريعتها الخالدة ما رفعها إلى قمة المجد والعزة في الماضي ، ويزودها برصيد يؤهلها للوحدة

والنهضة في الحاضر والمستقبل ..

إن ثقتنا بأنفسنا لا تجيز لأحد منا أن يستنجد بالإمبريالية أو جيوشها لأننا جميعًا نعرف أن هدفها ليس علاج عيوب مجتمعاتنا الناشئة أو المتخلفة ، ولا مساعدتنا في إصلاح حكامنا وجيوشنا ، بل هدفها هو استعباد شعوبنا وإذلال أمتنا والقضاء على مستقبلنا .

ولقد جربنا الاستنجاد بالفرنجة في تاريخنا من قبل عندما دأب ملوك الطوائف في الأندلس على الاستعانة بهم ضد إخوانهم وأبناء وطنهم ، فضاعت الأندلس بسبب ذلك كما تعرف ، ونحن لا نريد أندلسًا أخرى في الخليج أو فلسطين أو غيرهما ، فلا تلمنا إذا استنكرنا التدخل الأجنبي وانتقدنا من يشجعونه أو يؤيدونه وأنا واثق أنك معنا في هذا .

د . توفيق الشاوي

تعليق : عزيزي الأستاذ الدكتور توفيق الشاوي ، أنا لا ألومكم ولكنني ألوم من يستنكر التدخل الأجنبي بشكل

نظري ويغض طرفه عن السبب المنشىء لهذا التدخل ، إن هذا ليس عدلاً ، والإسلام يرفض الظلم .

ودعني أسألك يا سيدي ، إذا كان الإخوة قد أهدروا القانون الإلهي بقتال الباغي ، أو كانوا لا يستطيعون تنفيذه فماذا يكون الحل ؟ . هل يقبل الإخوة ظلم القريب ولا يستعينون بالغريب ؟ إن هذا تكليف بما هو فوق الطاقة ..

لقد ضاعت الأندلس حين ضاع الإسلام من نفوس الناس وكانت استعانة ملوك الطوائف بغيرهم نتيجة لضياع الإسلام وليست سببًا في ضياعه .

* *

منبع المصائب

الأهرام 18 أغسطس 990

تنقسم أنظمة الحكم في الدنيا إلى قسمين رئيسيين ، أنظمة الحكم المطلق ، أو الديكتاتوري ، وأنظمة حكم الشورى أو التعددية .. وتنبع معظم مصائب الشعوب من الحكم المطلق ، ولعل الفرق بين زعيم مسئول وحاكم مغامر ، هو الفرق بين حكم الشورى وحكم الديكتاتور ..

في نظام الشورى لا يقود الهوى الفردي مصير الشعب .. إنما تقوده عقول العقلاء في الأمة ، وفي نظام الشورى لا يستطيع الحاكم أن يوقع معاهدة ، أو يعلن حربًا ، أو يبرم سلامًا دون أن يشترك معه ذوو البصيرة والحكمة والرأي ..

أما الحاكم المطلق أو الديكتاتور فمهمته أسهل كثيرًا ..

إن الطاغية يعتبر نفسه هو الممثل الوحيد للشعب ، بعدها يتقدم مرحلة أخرى فيعتبر نفسه هو الشعب ، وبالتالي فإن كل من يعارضه فكأنما يعارض الشعب ، ومن يعارض الشعب يستحق الموت .. وفي الأنظمة الديكتاتورية ، يقوم فرد واحد ــ نيابة عن الشعب ــ بإرسال الشعب كله إلى الجحيم ، أو إرساله إلى حرب تلتهم الملايين من أبنائه . هذا ما فعله فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام ، حين قاد الشعب إلى الغرق وهو يتصور أنه يقوده إلى المجد ..

وهذا ما فعله طاغية العراق في زمننا حين قاد شعبه إلى حرب مع إيران ، كان هو البادئ بالعدوان فيها ، وهي حرب أزهق فيها ملايين الأرواح من الجانبين ، ثم انتهى إلى التسليم المفاجئ بكل ما طلبته إيران .

بعد ذلك تحرك طاغية العراق لسفك دم المسلمين في الكويت ، وتحرك ليضع شعبه كله في مواجهة ساخنة ومريرة أمام العالم كله .

لو كان هناك شورى في العراق ، أكان ما حدث يمكن أن يحدث ؟.. لو كانت هناك عقول حكيمة توجه مصائر الشعب العراقي أكان هذا يمكن أن يقع ؟ .

إن عبرة التاريخ القديم والحديث تقول لنا إن الويل لشعب يحكمه طاغية أو يوجه مصيره مستبد .

* * *

لا يحبون الأسـئلة

الأهرام 19 أغسطس 1990

لا عهد للطغاة .. ولا ميثاق للمستبدين .. إن الهوى الخاص هو الذي يحكمهم في جميع الحالات .. هذه حقيقة يكشف عنها التاريخ القديم والمعاصر .. إن الطاغية يعتبر أعظم مواثيقه ورقة يمكن تمزيقها في أي وقت .. ويمكن الخروج عليها عندما يحين الوقت .. منذ 15 سنة وفي سنة 1975 وقع صدام حسين مع شاه إيران اتفاقية تم بمقتضاها تقسيم منطقة شط العرب بالتساوي بين إيران والعراق .

بعد ذلك بخمس سنوات وقف صدام حسين في بغداد وأعلن أن شط العرب كله من حق العراق ، ومزق الاتفاقية وأعلن الحرب على إيران لاستعادة الأرض السليبة .

وبدأت الحرب بين العراق وإيران ، وهي حرب بدأها

صدام حسين وأدارها بوصفها حربًا عربية مقدسة بين العراق المسلم والمجوسية الفارسية .

كان الغرب يمد العراق بالسلاح ، وكان الخليج هو الذي يدفع فاتورة الحساب ، وكان الشعب العراقي هو الذي يقدم أبناءه الشهداء طعامًا للمدافع والألغام .. أما الرئيس صدام حسين فكان يصنع مجده بوصفه مجاهدًا ضد المجوسية الكافرة .

واستمرت هذه الحرب الظالمة التي أجج نيرانها صدام حسين 8 سنوات ، وقد أكلت الحرب من أبناء العراق وأبناء إيران ما يقرب من مليون قتيل وجريح ، كما تحولت آلاف الملايين من النقود إلى نار تشتعل على حدود العراق وإيران .

ومضى المخلصون ينبهون إلى الفخ الذي انساق إليه طاغية العراق ، وهو فخ كان هدفه تحطيم اقتصاد دولتين مسلمتين ، وشغلهما عن النمو والتنمية بعلاج الجراح وتضميدها .. وإبقائهما في النهاية أضعف من إسرائيل .

ثم وقعت هدنة بين إيران والعراق .. بعد عامين من الهدنة قفز صدام حسين على الكويت واحتلها ، وعاد إلى إحياء اتفاقيته مع إيران ، وبدأ يسحب جنوده ويتبادل الأسرى .

لم يسأله أحد في العراق لماذا أعلن الحرب ولماذا أنهاها .. لم يسأله أحد لماذا سفك كل هذه الدماء ولأي غرض .. لم يسأله أحد ما الذي استفاده العراق أو استفاده العرب .

إن الطغاة عادة لا يحبون الأسئلة .

* * *

المؤامـــرة

الأهرام 20 أغسطس 90

حين وقع الظلم على المسلمين أيام الجاهلية ، وكان هذا الظلم يأخذ شكل منعهم من حرية الاعتقاد .. أوحى الرسول إلى المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة .. وكان فيها ملك مسيحي عادل وصفه الرسول ﷺ بقوله :

ــ هو ملك لا يظلم عنده أحد ..

كان الكفار أقارب المسلمين ، وكانوا عربًا مثلهم ، وكان ملك الحبشة أجنبيًا مسيحيًا وغريبًا عن المسلمين .. ورغم ذلك دعاهم الرسول إلى ترك أقاربهم الظالمين والهجرة إلى الملك الأجنبي العادل .. طبقًا لمنطق المهيب الركن صدام حسين يعتبر لجوء المسلمين إلى الحبشة استعانة بالإمبريالية

الحبشية ، وخيانَة للقومية العربية من وجهة نظر البعث ، وإهدارًا لواجبات الأخوة التي تقضي بأن نترك الظالم يذبح المظلوم ولا نلجأ لأحد يمنعه . إن صدام حسين يتحدث عن التدخل الأجنبي ويتجاهل أن غزوه للكويت هو السبب المباشر للتدخل .. وهو السبب الذي كان الغرب ينتظره للتدخل .. وهو يتحدث عن المسلمين الذين أهينوا بهذا التدخل ، وينسى أنه بطل هذه الإهانة .

وهو يتحدث عن تدنيس مكة والمدينة لوجود قوات أجنبية تبعد عنهما 1500 كيلو متر ، ولا يرى في غزوه للكويت أي تدنيس لحرمة المسلمين ..

إن ما يدنس حرمة الكعبة حقًا هي جرائمه ، إن ترويع المسلمين في الكويت وإخراجهم من ديارهم واغتصاب نسائهم وقتل أطفالهم وتحطيم قوتهم لحساب عدونا .. هذا هو التدنيس الحقيقي لحرمة الكعبة ..

إن صدام حسين يجهل ــ شأنه شأن الطغاة ــ أن حرمة

الإنسان عند الله أعظم من حرمة الكعبة ، كما قال رسول الله ﷺ ..

أيضًا يجهل جبار العراق أنه يقود شعوب العرب جميعًا إلى الهاوية .. إنه يتحدث عن مؤامرة على المسلمين .. بينما الدور المشبوه الذي يقوم به ، ووجوده حتى الآن على رأس العراق ، هو المؤامرة الحقيقية على المسلمين .

* * *

الوجه والقنــاع

الأهرام 21 أغسطس 1990

قلبي مع الشعب العراقي الذي يحاصره العالم كله ويعاديه بسبب عدوان طاغيته .. وقلبي مع الشعب الكويتي الذي شرده جبار العراق .. وقلبي مع الشعوب الخليجية والعربية التي ينتظرها خطر داهم لا نستطيع التنبؤ بآثاره .. وليس بين الشعوب العربية كلها أي تناقض .. ولكن القضية مع الأسف ليست قضية شعوب .. وإنما هي قضية أنظمة فاسدة تضع الشعوب موضع الخصومة بدل وضعها موضع الوحدة .

لقد وضع النظام العراقي شعب العراق في خصومة مع الشعب الكويتي ، ووضع الأنظمة العربية في تناقض ساخن ، وقسم بين الشعوب في عالم يتجه إلى الوحدة ، وكان سببًا

مباشرًا في استدعاء أساطيل الدول وطائراتها تحت علم الأمم المتحدة .

والمأساة التي لا تغتفر في تصوري أن يرتدي الكاره للإسلام قناع الإسلام ويظهر به على العالم ، وهذا يفسر لنا سر خديعة الجماعات الدينية فيه .

إن صدام حسين رجل أجهض القوة الإسلامية ثلاث مرات :

1 ــ مرة حين اعتلى عرش السلطة في العراق .. وبدأ تصفيته لكل المسلمين والاتجاهات الدينية وإستخدم في ذلك السجون والسموم .. وهناك كتاب لمنظمة العفو الدولية في ذلك .

2 ــ ومرة ثانية حين حارب إيران ــ وهي دولة مسلمة ــ لمدة 8 سنوات نجح فيها في استنزاف قوتها وتصفيتها ، وكانت هذه التصفية خصمًا من قوة المسلمين الكلية .

3 ــ وها هي المرة الثالثة وهو يخدع الشعب العراقي

والجماعات الدينية ويعبئهم ضد استعمار كانت جرائمه هي السبب في حضوره . وفي الجرائم عادة يبدأ المحقق تحقيقه بالبحث عن المستفيد من الجريمة .. وفي جرائم صدام سنرى المستفيد هم أعداء العالم العربي وحدهم .

إن أي دولة عربية لن تستفيد في نهاية الأمر مما يجري هذه الأيام .. إن الجميع يخسرون بينما الرابح الوحيد هو العالم الغربي الذي وصل أخيرًا إلى منابع البترول وأصبحت أساطيله جوارها .

* * *

توضيـــح .. وأماني

الأهرام 22 أغسطس 1990

الأستاذ الكبير أحمد بهجت .

كلامك عن ضرورة الشورى في أهرام 18 / 8 / 1990 يفرض عليَّ أن أجيب عن سؤالك « في أهرام 17 / 8 / 1990 عما إذا كان الإسلام يوجب علينا قبول ظلم القريب ويحرم علينا الاستعانة بالغريب . وكلنا يعرف جيدًا آن الإسلام يوجب علينا مقاومة الظلم سواء جاء من القريب أو الغريب ، فلا يجوز للمسلم أن يقبل العدوان أو الظلم أو يستسلم له دون مقاومة ، ولذلك فإن سكوتنا عن مقاومة العدوان يؤكد ما قلته أنت من أننا أهدرنا مبدأ من مبادئ قانوننا الإلهي الذي يوجب علينا قتال الباغي .. وإذا كان سكوتنا هذا هو الذي دفع المغلوبين أو المهددين إلى أن يستنجدوا بالغرباء فإن

اللوم لا يوجه لهم ، وإنما يوجه لإخوانهم الذين ترددوا أو تخاذلوا في نجدتهم كما يوجه إلى إخوانهم الذين اعتدوا عليهم وغدروا بهم .

ونحمد الله على أن مصر كانت أول من استجاب لطلب النجدة ، ولم تكن بين القاعدين أو المتخلفين ، ولم تؤيد العدوان ولا شجعت عليه .

إن معارضتنا للتدخل الأجنبي معناها تأييدنا للنجدة العربية والإسلامية ، وإصرارنا على أن تكون هذه النجدة العربية الإسلامية أوسع نطاقًا وأكثر شمولاً ، وأن تكون جماعية وإجماعية لا محل للخلاف حولها ولا التخلف عنها ، وذلك لكي تكون فعالة ومؤثرة وكافية ، ولا تكون رمزية فقط ، كما يريد الأجانب ، الذين يحاولون جعلها تابعة لقيادتهم ومنفذة لخططهم .

إننا نتمنى أن تكون قواتنا العربية والإسلامية بديلة عن القوات الأجنبية وأن تغنينا عنها في صد العدوان أو لا تسمح لها بالبقاء بعد زوال الخطر حتى لا يقع ما يخشاه كثيرون من

أن يكون مجيئها لضمان السيطرة على منابع البترول بحجة تأمين إمدادات النفط للدول الصناعية ، أو بحجة ضمان أمن حليفتهم إسرائيل الذي يعتبرونه هدفًا استراتيجيًا لهم كما هو معروف دون اكتراث بحرية شعوبنا وحقها في تقرير مصيرها .

د . توفيق الشاوي

تعليق : نشكرك على توضيح رأيك ونتفق معك في كل ما تقوله ، ونتمنى معك ما تتمناه وإن كنا نذكر ــ في مجال الأماني ــ المثل الإنجليزي الذي يقول : « لو كانت الأماني خيلاً لركب الشحاذون » .

* * *

العفريت والزجاجة

الأهرام 23 أغسطس 1990

فلما جاءت الليلة الثانية والثلاثون من الشهر وجاء اليوم الثامن من الأسبوع ، ودقت الساعة الخامسة والعشرون ، قالت شهرزاد للملك شهريار ــ أيها الملك السعيد .. ذو الرأي الرشيد .. هل سمعت حكاية الأخ المأفون مع العفريت المسجون .. هل تحب أن أحكيها لك .. قال الملك شهريار : بكل سرور .. قالت شهرزاد : كان هناك مجموعة من الإخوة يعيشون معًا ، وكان فيهم الغبي والذكي ، والأحمق والشقي ، والفقير والغني ، والمسالم والبلطجي ، وكان أشدهم غباء وعنادًا هو صدام بن بهرام ، وكان بلطجيًا شهيرًا يعيش في بغداد ، ويقطع الطريق على القوافل ويسرقها ، ولا يستثني إخوته من السرقة ، وذات يوم سرق الأخ البلطجي أخاه

الصياد وكان عائدًا من البحر ، وكانت حصيلة السرقة مجموعة من الأسماك وزجاجة مغلقة ، ووضع الأخ المأفون السمك على النار وشواه وراح يأكله ، ومضى يعالج فتح الزجاجة حتى فتحها . لم يكد يفتح الزجاجة حتى خرج منها دخان كثيف لم يلبث أن تجمع وصار عفريتًا هائل الحجم مخيف الصورة ، وكان العفريت يمسك في يده مرزبة من حديد ضرب بها الأرض فانفجرت الأرض عن نار ودخان ، لم يكد صدام بن بهرام يرى العفريت حتى زلزله الخوف وسقط على الأرض .. قال العفريت وهو يمسكه من قفاه — دعني أفكر كيف ألتهمك .. هل أقرقش رأسك قبل بطنك أم ألتهم يديك قبل أقدامك .. دعني أفكر .. قال صدام بن بهرام : ارحمني أيها العفريت الطيب .. قال العفريت : لا أرحمك أبدًا .

وفكر صدام بن بهرام في حيلة يحتال بها على العفريت .

فقال : كيف تكون بهذا الحجم الهائل العظيم رغم أنك كنت في هذه الزجاجة الصغيرة .. هل تدخل الزجاجة لأرى

كيف يصغر حجمك .

وهنا قهقه العفريت طويلاً حتى سقطت الأشجار من قهقهته .. وقال لصدام بن بهرام : أيها الإنسي الساذج ، هذه حيلة وقع فيها عفريت ألف ليلة وليلة ، ولكنني عفريت أمريكي إذا خرج من الزجاجة لم يدخلها .. ومضى الأخ المأفون يتوسل للعفريت المسجون أن يعود إلى الزجاجة ، ومضى العفريت يقهقه ويضرب الأرض بأقدامه من فرط سروره وانشكاحه .

* * *

جنود في العسل

الأهرام 24 أغسطس 1990

تتعامل معظم القوانين الجنائية مع الذين يقتلون ضحاياهم بالسم معاملة قاسية ، وتضع لهم عقوبات الإعدام ، وذلك لما ينطوي عليه القتل بالسم من غدر وخيانة .

واستخدام السموم على المستوى السياسي مسألة تدين بوجودها للطغاة عادة ، وهم ينسبون لمعاوية بن أبي سفيان كلمة شهيرة في ذلك هي قوله :

ــ إن لله جنودًا في العسل .

بمعنى أن تسميم ملعقة من العسل وتقديمها للخصم في وجبة طعام يغني المرء عن جهد كبير ونقاش طويل واشتباك بالأسلحة في الحرب .

ويدعو الطغاة خصومهم للحوار على مائدة غداء أو عشاء ، ثم يأكلون معًا ، ثم يشربون الشاي المحلى بالعسل ، ثم يعودون إلى بيوتهم وهم يقولون : من يدري .. لعل الله هداه .. إن الرجل يبدو متفهمًا ومعقولاً هذه المرة .

بعد ساعات تبدأ آثار السم ، ويمضي الضحايا بهدوء إلى سكينة الموت وسلامه ، وينفسح المجال أمام الطاغية ليؤلهه شعبه بعد أن خلا من المعارضين .

ولعل هذه التجارب التي يقوم بها الطغاة على معارضيهم وخصومهم من الشخصيات الدينية أو السياسية ، تكون بمثابة حقل تجارب لاستخدام السموم فيما بعد على نطاق واسع في الحروب .

يقول فقهاء القانون الروماني .

ــ بالسلاح لا بالسم تخاض الحروب .

وقد استقر هذا الإدراك منذ أقدم العصور ، واتفق العالم كله على أن هناك أساليب محرمة في الحرب ، ولكن الرئيس

العراقي صدام حسين اكتشف أن فقهاء القانون الروماني كانوا مغفلين .. إن خوض الحروب بالسلاح مسألة مفهومة وتقليدية .. الجديد هو خوضها بالسم .. هذا أسهل وأسرع .. من هنا بدأت تجاربه الكيماوية على استخدام الغازات السامة ، وخاصة غاز الخردل الذي طوره العلماء ، وتم استخدامه في حربه الظالمة ضد إيران ، وفي اغتياله الجماعي للأكراد في مدينة حلبجة .

وليست قادسية صدام سوى جريمة قتل جماعي استخدم فيها البطل السموم بدلاً من الأسلحة ، رغم تحريم المجتمع الدولي لها ، وها هو البطل يهدد العالم كله بالغازات السامة .. ويستخدم الأجانب الذين كانوا في خدمته وخدمة بلده .. كدرع بشرية له .

أي شجاعة يرمينا العالم بها كمسلمين وعرب ؟!!

* * *

المصريون العائدون

الأهرام 25 أغسطس 1990

نتيجة لغزو العراق الغادر للكويت ، تحرك آلاف المصريين عائدين إلى مصر ، إما عن طريق السعودية ، أو طريق العراق والأردن ، وقد وقعت آلاف المآسي في هذا التحرك ، وساعدت المفاجأة ووحشية القوات على إشاعة الذعر وسط كثير من المصريين العائدين ، وضل منهم وسط الصحراء كثيرون ، ومات من أطفالهم من مات من الجوع والعطش .. ووصل الناجون منهم في حالة يرثى لها ..

ويتكدس الآن الآلاف منهم على حدود الأردن التي أغلقت حدودها قبل أن تفتحها جزئيًا استجابة لطلب مصر .

ولقد كان تدافع الأحداث وتداعيها يسبق أي إجراءات تأخذها الدولة ، وفي تصوري أن المهمة الأولى التي تواجهنا

الآن هي الإسراع بإنقاذ هؤلاء من المصير الفاجع الذي ينتظرهم في الصحراء .. والإسراع بإعادتهم إلى وطنهم الأم .

ولسنا نهون من شأن الإجراءات التي اتخذتها الدولة ولكننا نهيب بأجهزة الإدارة أن تتعامل مع الأزمة القومية بأكبر قدر من المرونة والسرعة والكفاءة .. حفاظًا وتأكيدًا لانتماء هؤلاء المصريين ، وإنقاذًا لأرواحهم البريئة .

إذا انتهينا من هذه المهمة الحيوية التي تحتل درجة قصوى من الأهمية فقد بقي أمامنا أن نناقش قضيتين :

1 ــ قضية العمل خارج مصر وأثره على الاقتصاد القومي ..

2 ــ قضية نمط الحياة الجديد الذي أسفرت عنه هذه الهجرة للعمل خارج مصر .. وتأثير هذا النمط على الإنتاج إيجابًا أو سلبًا ولنبدأ بالقضية الأولى .. لقد ظلت مصر منذ نشأة الحضارة فيها وبزوغ فجر الضمير منطقة جذب بشري للعالم كله .

وكانت ميزاتها في اعتدال المناخ ووجود المياه والأرض الصالحة للزراعة هي الأساس الذي نشأت عليه طبيعة كونها منطقة جذب بشري ..

وقد ظل هذا الوضع قائمًا وممتدًا لقرون طويلة ثم بدأت التحولات منذ ثلث قرن وهي تحولات انتهت بأن صارت مصر منطقة طرد بشري ..

* * *

السـؤال الأول

الأهرام 26 أغسطس 1990

قبل أن تبدأ هجرة المصريين للعمل خارج مصر ، كان المصري عمومًا يكره الخروج من بلده .. بل ويكره الخروج من داره .. يقول كتاب الأمثال الشعبية « من خرج من داره .. إتقل مقداره » .

وكان الموظف كالفلاح يكره أن يتنقل كثيرًا ، ويكره أن يبعد مكان عمله عن سكنه .. وكان الموظف إذا انتقل من القاهرة إلى بنها أقسم بغربته وتشرده .

ثم جاء الوقت الذي بدأ فيه نزيف العقول والكفايات المصرية وهي تحتشد للخروج من مصر طمعًا في العمل في دولة بترولية أو دولة غنية أو دولة أوروبية ..

وفي الأربعين سنة الأخيرة تحولت مصر إلى منطقة طرد بشري ، خرج منها متخصصون وعلماء وخبرات وعمال مَهرة وعمال غير مهرة ثم تبعهم أخيرًا عمال الزراعة والفلاحون .

لن نتساءل عن أسباب هذه الظاهرة ، وهي أسباب ترجع لسوء الإدارة المصرية وزيادة السكان وانخفاض الأجور والمرتبات وإغراء العمل في الدول خارج مصر .. لن نتساءل عن الأسباب ، وإنما نريد فقط أن نعرف كيف أثر هذا الخروج على الاقتصاد المصري ؟ .

وفي البداية لن نعرف — على وجه التحديد أو الدقة — عدد الذين خرجوا من مصر بحثًا عن فرص جديدة للعمل .

إن الخليج وحده — فيما يبدو — يضم 2 مليون مصري ، فإذا كان هذا عددنا في الخليج فكم يكون العدد في العالم كله .. علمًا بوصول المصريين في هجرتهم إلى أستراليا وكندا وأعماق إفريقيا .

هذه أول مشكلة تعترضنا ، ورغم ذلك فسوف نسأل : هل استفاد الاقتصاد القومي في مصر من خروج هذه القوة العاملة ؟.. أعتقد أن الجواب هو النفي .

إن معظم نقود هؤلاء موجودة في بنوك خارج مصر أو موجودة في شركات توظيف أموال داخل مصر ، وقد عصف بهذا كله تقريبًا قانون شركات توظيف الأموال وغزو العراق للكويت .

لماذا يضع المصريون نقودهم خارج مصر أو داخل مصر خارج الاقتصاد الرسمي ؟.. هذا أول سؤال يطرح نفسه هنا .

* * *

ماذا كسبنا ؟

الأهرام 27 أغسطس 1990

فشل النظام المصرفي المصري في إقناع العاملين خارج مصر بادخار نقودهم في مصر ، كان انخفاض أسعار الفائدة خصوصًا ، وعدم الثقة عمومًا سببين رئيسيين في لجوء المصريين العاملين إلى البنوك الأجنبية .

وهناك سبب ثالث لا علاقة له بالاقتصاد ، وإن كان وثيق الصلة بالسلوك الاجتماعي .. هذا السبب هو ضعف الوعي الادخاري عند المصريين وزيادة شهيتهم للاستهلاك .

كان المصري الذي يخرج من مصر للعمل خارجها يخرج لسبب محدد ، ولا يكاد يحقق هذا السبب أو يستوفيه حتى يعود إلى مصر .

بالنسبة للطبقة الفقيرة كان العامل يخرج وفي ذهنه حلم بشراء بعض الملابس والأجهزة الكهربائية .. تليفزيون مثلاً أو مروحة ..

وبالنسبة للطبقة الوسطى كان الموظف يخرج وفي ذهنه حلم بشراء سيارة أو جمع نقود تكفيه لشراء شقة أو دفع القسط الأول في شقة .

وبالنسبة لطبقة العمال الزراعيين كان الأمل البعيد هو شراء قطعة أرض وبناء بيت من الطوب الأحمر والأسمنت فوقها ، وبسبب الإقبال على شراء الأرض أو الشقق ، ارتفعت أسعار الأرض والشقق ارتفاعًا مبالغًا فيه .

ثم جاء على المصريين وقت أصبح الحصول على شقة أو سيارة أو نقود للزواج مسائل تحتاج إلى السفر خارج مصر .

وفي الوقت نفسه أسفر احتكاك المصريين مع المجتمعات البترولية أو الغنية التي هاجروا للعمل فيها ،عن تعلم المصريين

أسلوبًا جديدًا في الحياة والاستهلاك ، وبعد أن كان التكييف والتليفزيون والفيديو أدوات استهلاكية تنتمي إلى دنيا الترف أصبحت ضرورات لا يمكن الاستغناء عنها ، وبعد أن كان المصريون لا يعرفون ما يسمى بالديكور ، أصبح الديكور في البيوت مسألة أساسية ، وأصبح هدم الحمام والمطبخ واستخدام السيراميك فيهما مسألة عادية .

ولقد تحول آلاف الملايين من نقود المصريين العاملين خارج مصر إلى أسمنت مسلح وطوب وسيراميك يقف في الهواء ويرنو بحزن إلى النيل السعيد ، وهكذا تجمدت ثروة كان يمكن أن تغذي شرايين الاقتصاد وترد الحياة إلى وجه الاقتصاد المصري الشاحب الأصفر العليل .

* * *

كان ياما كان

الأهرام 28 أغسطس 1990

في الخمسينات من هذا القرن .. كان كل بيت في الريف يخبز خبزه الخاص .

كان الأغنياء يصنعون خبزهم من القمح ، وكان الفقراء يصنعونه من الذرة ، وكانت القرى في الوجه البحري تختلف عن قرى الوجه القبلي في صناعة الخبز .

كان للبحاروة خبزهم وللصعايدة خبزهم ، وكانت ميزة هذا الخبز أنه يعيش شهورًا طويلة دون أن يفسد .

وكان كل بيت من بيوت الريف يربي الطيور كالدجاج والبط والأوز ويربي الماشية كالخراف والجاموس والبقر ، وكانت أنواع الجبنة البيضاء تصنع في البيوت ، وكان الصابون

أيضًا يصنع في البيوت ، وكان البيت الريفي يومئذ رغم وجود الإقطاع والفقر يكاد يكون وحدة إنتاجية قائمة بذاتها ، وكانت العلاقة الحميمة بين الفلاح ورغيف الخبز الذي تصنعه المرأة الريفية ويعكس ملامح شخصيتها وشخصية قريتها هي علاقة إيجابية بين الفلاح والإنتاج وكان من الأمور المعيبة جدًا في الريف أن يشتري الفلاح خبزه من السوق ، إن هذا يعني أنه عويل لا أهل له ولا أصل عنده ولا فرن لديه .

بعد أربعين سنة من دخول الإصلاح الزراعي في الريف ودخول الكهرباء إلى القرية صار الفلاح يشتري اليوم خبزه من المدينة أو البندر ويشتري الفراخ الأمريكية البيضاء من السوبر ماركت وبعد أن كان البيت الريفي وحدة إنتاجية صار وحدة استهلاكية ولعل الفلاح اليوم يجد غضاضة في أن يخبز خبزه ولعله أصبح يخجل من الاعتراف بأنه فلاح .

إن الفلاح اليوم يعيش في ظروف أفضل من ظروفه التي كان يعيش فيها منذ 40 سنة إنه يسكن في بيت من الطوب ويستخدم الكهرباء ويستمع إلى الراديو والتليفزيون ويتمتع

بكثير من منجزات المدنية الحديثة ولكن علاقته بالأرض قد رقت و لم تعد هي نفس العلاقة القديمة ، لم يعد الفلاح جزءًا من الأرض ولا صار سببًا من أسباب الإنتاج ، إنما تحول من قوة منتجة إلى قوة مستهلكة ، وتحول من شجرة مثمرة مستقرة ترتبط بالأرض إلى رحالة مسافر يزرع دول البترول بحثًا عن دولارات أكثر .

* * *

أصابع الاتهـام

الأهرام 29 أغسطس 990

لماذا تحولت مصر من منطقة جذب بشري إلى منطقة طرد بشري ؟

يمكن الجواب عن هذا السؤال بقولنا إن زيادة السكان في مصر وثبات الأرض الزراعية هما السببان فيما حدث ، وهذان سببان يريحان الجميع ويرميان المسئولية على الخصوبة المصرية الذائعة الصيت ، ولكن هذا الجواب وحده ينطوي على ظلم واضح للحقيقة .

لقد زاد عدد السكان في مصر في نصف القرن الأخير زيادة كبيرة ، وكان المفروض منطقيًا أن يزيد الإنتاج بزيادة الأيدي العاملة ، لكنه لم يزد !.. من هو المسئول إذن ؟ .

إن أصابع الاتهام تشير إلى عديد من المسئولين .

أولاً : نظام الوظيفة الذي تحول من أداء عمل حقيقي إلى تكية عامة لتعيين جميع الخريجين وتحويلهم إلى دراويش لحل الكلمات المتقاطعة .

ثانيًا : النظام الاقتصادي الذي رقص مرة على أنغام الاشتراكية ، ثم لعب مرة أخرى على أنغام الرأسمالية ، وكان يرقص هنا أو يلعب هناك دون هدف واضح محدد .

ثالثًا : السياسات الزراعية التي تعاقبت عل مصر وكانت نتيجتها أن قام الفلاح بتجريف أرضه وبيعها وذبح الدجاجة التي تبيض ذهبًا .

رابعًا : سيادة البيروقراطية والبطء الإداري ، والعقبات التي توضع في وجه كل من يتحرك للعمل خارج النطاق التقليدي .

خامسًا : النظام المصرفي الذي ظل يركب حمارًا ويسير به الهوينى ويحلم بأن يسبق به ركاب الطائرات .

سادسًا : انعدام الثقة بين الأهالي والإدارة ، نتيجة لميراث طويل من الأسباب الموضوعية وبالتالي مقاومة الأهالي لأي محاولة للإصلاح .

سابعًا : سيادة قيم المادة وطغيانها على القيم الروحية ، وقياس أقدار الناس بأوضاعهم المادية .

ثامنًا : السحب الكثيفة التي تعاقبت على سماء الحرية والديمقراطية وحجبت شمس الحرية فلم تظهر إلا في السنوات الأخيرة .

تاسعًا : الحروب الأربع المتعاقبة التي استهلكت ميزانيات التنمية ، وهي أربع حروب في نصف قرن من الزمان « حرب 48 ، 56 ، 67 ، 73 » .

هذه هي الأسباب التي تشير إليها أصابع الاتهام !

* * *

ما هو الحـــل ؟

الأهرام 30 أغسطس 1990

يتساءل الناس : ما هو الحل ؟ وفي تصوري أن الحل المتاح هو التغيير الشامل ، نحن في حاجة إلى إعادة النظر في أسلوب حياتنا وفي أنظمتنا الإدارية ، وتقاليدنا الاجتماعية .

إن سياسة العلاج الموضعي لم تعد مجدية ، وأسلوب ترقيع ثوب تم ترقيعه من قبل لم يعد كافيًا .

نحن في حاجة إلى تجديد شامل ، في حاجة لهدم ما لا يصلح وبناء ما يستطيع مواجهة الموقف الجديد .

وهذا ليس سهلاً ، ولكنه ــ أيضًا ــ ليس مستحيلاً ، إنما هو ممكن وخاصة بعد أن بدأ بناء البنية الأساسية .

نحن نعيش في عالم يتغير كل يوم ، فلننظر في تجارب العالم ، ولنفعل ما يفعله غيرنا ، ولنتحرك مثلهم نحو الإصلاح .

إن الاتحاد السوفييتي يتغير من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ، وهو ينهي الحرب الباردة بينه وبين أمريكا ، ويضع يده في يد المستقبل ، ويعترف بالأمر الواقع ، ويبدأ اتجاهه الجديد الجاد نحو الإصلاح .

أيضًا فعلت أوروبا الشرقية نفس الشيء ، لماذا نظل نحن عاكفين على أصنام كفر بها الذين صنعوها ؟ .

إن في مصر فائضًا في الثروة البشرية ، وفيها كفايات لا يمكن إنكار وجودها ، والعيب في الشخصية المصرية يسير ويمكن علاجه ، ولكن عيوب نظام الإدارة المصري هي التي تعقدت وباتت تستعصي على العلاج ، وأصبحت تحتاج إلى جراحة .

لقد أثبت المصريون خارج مصر كفاءتهم ، فلماذا يثبتون داخل مصر ترددًا وعجزًا ؟ .

إن المسئول الأول هنا هو نظام الإدارة أو أسلوب الحياة . نريد تغييرًا جذريًا شاملاً في كل شيء ، في الأفكار والمشاعر

والسياسات وأسلوب التنفيذ .

إن للمصريين داخل مصر ثروة بشرية ، ولهم خارج مصر ثروة مادية ، فلماذا لم توظف الثروة المادية في خدمة الثروة البشرية ، ولماذا لا نرفع العوائق من أمام هذه الإمكانية ؟ .

إن الله يساعد الذين يبذلون الجهد ، وهو ــ سبحانه ــ لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لنبدأ المحاولة إذن ، محاولة التغيير .

* * *

الشـــارع المصـــري

الأهرام 31 أغسطس 1990

الذين اتهموا الرئيس المصري بالبعد عن الشارع المصري لا يعرفون مصر ، ولا يعرفون حقيقة أحاسيس الشارع المصري ، ولا يعرفون تركيبته .

إن الشارع المصري ليس غوغائيًا ، وإن بدا بأتربته وضجيجه كذلك ، والشارع المصري فقير ، وهو يعاني لأسباب كثيرة ، ورغم ذلك لم يبتلع هذا الشارع قصة الفقير العراقي الذي هجم بالدبابات على الأغنياء ليعيد توزيع الثروة بالذمة والأمانة .

ولقد كان هذا السبب كافيًا لإشعال حماس الشوارع في بعض الدول العربية ، ورغم ذلك لم تنجح هذه القصة في لفت انتباه الشارع المصري أو تحريك شهيته للظلم .

إن الشارع المصري يملك داخل عقله ميزانًا دقيقًا للقيم ، وهو يعرف الفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، وهو شارع ذكي لا تخدعه الشعارات الزائفة أو اللافتات الكاذبة ، وهو شارع متحضر يخضع في قرارة قلبه للقانون والعرف .. ولا يسلك طريق الباطل لتحصيل حق مزعوم من حقوقه .

أيضًا لم يقبل ذكاء الشارع المصري حدوتة العراق الفقير ، إن العراق دولة بترولية غنية أفقرها الطغيان وقام بتجويعها الاستبداد ، فهم الشارع المصري هذا كله في وقت مبكر جدًا ، وكان فهمه سريعًا وعميقًا ، ومن ثم فقد رفض هذا الشارع المساومة ، كما رفض الإغراء القوي للغوغائية ، كما رفض التلويح له بجزء من الغنيمة . ولم يكن الرئيس المصري محمد حسني مبارك في وقت من الأوقات قريبًا من قلب الشارع المصري كما كان يوم أن ظهرت قامته في هذه الأزمة .

لقد كان صوتًا للعقل وسط دوامات خراب عقلي هائل ، وكان صوتًا لمنطق السلام وسط حكام يزايدون بالحرب ولا يعنيهم مصير شعوبهم .

باختصار شديد ، كان صوته مطابقًا لحكمة شعب تحضر منذ خمسة آلاف سنة ، ولم يعد ممكنًا لأي طاغية طموح أن يخدعه بمعسول الأكاذيب ، أو يزين له الباطل فيراه حقًا ..

لقد انساقت مظاهرات في شعوب أخرى خدعها حكامها ، وكان الشارع المصري يتأمل هذا بحزن وإشفاق .

* * *

الشعوب والحكام

الأهرام 1 سبتمبر 990

تتحمل الشعوب دائمًا وزر حكامها الطغاة .

إن الحاكم مسئول عن مصلحة شعبه ، والشعب مسئول عن اختيار حاكمه ، وهذه المعادلة تنكسر كثيرًا في الحياة الواقعية ، فيصبح الحاكم مضيعًا لمصلحة شعبه ، ولا يصبح الشعب مسئولاً عن اختيار حاكمه .

كيف نحكم على الشعوب في ظل حكامها الطغاة ؟ .

إن مشكلة الطغيان أنه يشل إرادة الشعوب مؤقتًا ، إن الطاغية يحكم بالإرهاب والخوف ، إنه يخرس الألسنة ويكمم الأفواه وينثر الذهب على من يؤيده ويدفع السيف في صدر من يعارضه ، ويقدم التافهين ويؤخر الحكماء ، ويتحول

الشعب تحت ظل الطغيان من شعب عظيم قادر إلى شعب مقهور ذليل لا طاقة له على الفعل أو الحلم أو الأمل .

ويضع القرآن الكريم قانونًا للمسئولية عن الطغيان ... فيدخل فيه الطاغية ووزراءه وجيشه وجنوده .

ويقول الله تعالى في شأن فرعون : ﴿ **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾ .

وهذا يعني أن المسئولية شملت الملك الطاغية ، ورئيس وزرائه ، وضباط الجيش وجنوده معًا .

صحيح أن الأمر يصدر من الملك إلى رئيس وزرائه ، ولكن أداة التنفيذ هي الجيش ، ومن ثم فإن المسئولية تنبسط على الجميع ولا تفلت أحدًا .

يحدثنا الله تبارك وتعالى عن الآفة التي تصيب الشعوب إذا استسلمت لحكامها الطغاة ، فيقول في شأن فرعون :

﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ .

إن الفسق هو المرض الذي يصيب الشعوب عادة فيكون

سببًا للطغيان أو نتيجة له ، وهو آفة تؤدي إلى ضياع الشعوب ، إذ يجرها الطاغية إلى هلاكها ، وهذا ما فعله فرعون بجيش مصر أيام موسى عليه السلام ، وهذا ما فعله هتلر بشعب ألمانيا وجيشها في الحرب العالمية الثانية ، وهذا ما يفعله صدام حسين بجيش العراق وشعبه في أزمة الخليج .

لا نريد أن نحكم على الشعب العراقي أو الجيش العراقي من خلال نظام صدام حسين ، فهذه أيام سوداء عما قليل ترحل ، وإذا كنا نبرئ الشعب العراقي فإننا نلفت نظر الجيش العراقي إلى مسئوليته عما يجري ... كان الله في عون شعب العراق وجيشه .

* * *

صورتنا أمام العالم

الأهرام 2 سبتمبر 1990

قالت جريدة الجمهورية العراقية إن الشعب العراقي قد بدأ يعاني من الحصار الاقتصادي ، ومضت الجريدة تشكو من أن العالم كله لم يسبق له أن اتحد بهذا الشكل ، أو اتخذ كل هذه الإجراءات ضد دولة كما حدث بالنسبة للعراق .

ويبدو أن الجريدة العراقية السالفة الذكر لم تدرك أبعاد ما فعله لص بغداد الجديد في الكويت .

لقد قام صدام حسين بأكبر عملية سطو مسلح في التاريخ ، ووضع تقاليد جديدة للسطو ، كان العهد بالسطو أن يتم من لصوص يرتدون أقنعة لإخفاء ملامحهم ويحملون طبنجات أو بنادق على أكثر تقدير .

وكان الجديد الذي قدمه صدام حسين أنه استخدم في السطو جيشًا بأكمله ، بمدافعه ودباباته وطائراته .

والفكرة جديدة ، وسوف تسجل في كتب السطو كأكبر عملية سطو في التاريخ ولهذا اتحد العالم ضدها وتحرك بشكل لم يسبق له أن فعله من قبل .

والحق أن كل واحد تحرك في العالم كان له هدف يعلنه وهدف يخفيه ، أما الهدف المعلن فهو تطبيق القانون الدولي والعدالة ، أما الهدف الخفي فهو الحرص على المصالح الخاصة وتأمينها ، وهذا أمر طبيعي ولا ينبغي أن يدهشنا لأنه لعب بالنار في حقول للبترول .

فقد حملت هذه الحرب مأساة للملايين ، وانتهكت فيها حرية شعب مسلم هو الشعب الكويتي ، وشرد أبناؤه واستبيحت ديارهم ، ولم يكن هذا وحده كل ما حدث لقد تعرض جميع العاملين في الكويت للمأساة نفسها ، وتحول الخبراء الأجانب والدبلوماسيون إلى رهائن ، وبعثت من زوايا التاريخ الأسود صورة جديدة لطاغية يهدد العالم كله بالغازات

السامة والهلاك ، وهذا كله « كوم » والصورة التي يقدمها صدام حسين لوجه العربي المسلم « كوم » آخر ، لقد لوثت هذه الحرب صورة الإنسان العربي أمام العالم وأظهرتنا بمظهر الوحشية والبربرية والهمجية ، والبلطجة السياسية وعدم احترام القانون أو العرف أو حقوق الإنسان وسوف يقاسي العرب لعشرات السنين القادمة من هذه الصورة .

* * *

مسلسل الزلنطحي

الأهرام 3 سبتمبر 0٠

نزولاً على رغبة الجماهير الزلنطحية ، وطلوعًا ضد رغبة الجماهير العربية ، تقرر أن يمتد عرض مسلسل الزلنطحي أسبوعًا خامسًا وسادسًا وسابعًا .. ويرى بعض النقاد أن المسلسل يمكن أن يمتد شهورًا وسنوات .

والمسلسل للعلم ــ والعلم الحقيقي عند الله ــ هو إنتاج ــ عراقي أمريكي ــ مشترك .. ويقال إنه إنتاج عراقي إبليسي ــ مشترك .

وأغرب ما في المسلسل أن فيه خروجًا على النص ، إن بطل المسلسل يشعل نار الحرب ثماني سنوات لحساب الغرب ثم يعلن في لحظة تاريخية فكاهية أنه كان يلعب ، ويعترف لإيران

بحقها الذي أنكره عليها ، وهذا الجزء كما هو مفهوم لم يكن جزءًا من السيناريو ، ويقال إن بطل المسلسل شرب قنينة من العرقي ثم دخل إلى البلاتوه وهو في حالة سكر بين حيث أعلن إعلانه المثير .

يلعب دور البطولة في مسلسل الزلنطحي الممثل العراقي الشهير زلنطح البلطجي ، وقد تألق من قبل في مسلسلات درامية ، وبهذا المسلسل خرج العرب من نطاق المحلية إلى نطاق العالمية ، وأصبح العالم كله يتفرج علينا وعلى أدبنا وعجائبنا .. فرجة هي ببلاش فرجة مجانية بلا تعب .. وهي فرجة فيها الفكاهي وفيها المأساوي وفيها ما يثير الرثاء .

موضوع المسلسل غريب .. إن قائد جيش يزور يومًا مدينة فيلاحظ أنها تمتلىء بالبنوك ، ويسيل لعابه ويزمع في نفسه أمرًا ، وذات يوم يقول للجيش إننا ذاهبون لعمل مناورات تكتيكية على أهداف بنكية هيكلية .. وهكذا قاد الجيش وسطا به على البنوك تحت شعار قتالي يقول : « أمة عربية واحدة تتجه نحو بنك واحد هو البنك المركزي » .

والمسلسل من نوع الكوميديا السوداء ، وهو يعبر عن البلطجة التاريخية والغوغائية السياسية ، وقد بدأ المسلسل بداية مثيرة ولكنه لم يلبث أن تحول إلى الملل ، وأصبح سخيفًا للغاية ، وراح الجمهور يتساءل لماذا تأخر الضرب كل هذا الوقت في مسلسل يستعرض فيه الأبطال عضلاتهم طوال الوقت ، إن الجمهور يوشك أن يصفر بفمه مغنيًا « سيما أونطه .. هاتوا فلوسنا » .. والذي لا يعرفه الجمهور أن الزلنطحي سيتعرض للضرب لا بسبب المنطق الفني للنص ، وإنما لأنه خرج على النص ولبخ الدنيا أمام المخرج .

* * *

الفرد عندنا وعندهم

الأهرام 4 سبتمبر 1990

الفرق بين نظرة الغرب المتحضر إلى الفرد ونظرة العالم النامي إليه هو نفسه الفرق بين حضارة تقيم وزنًا للإنسان ، وفوضى لا قيمة فيها لحياة الإنسان .

إن سر قوة صدام حسين أنه احتجز الأمريكيين والأجانب كرهائن .

لقد شلت هذه الحركة إرادة أمريكا وشلت معها إرادة الغرب ، وبدأ انقسام الآراء واختلاف وجهات النظر وبدأت الحسابات كلها تعاد من جديد .

في العالم العربي نحن لا ننظر للفرد هذه النظرة .. إن الفرد عندنا ليس مهمًا إلى الدرجة التي تشل فيها إرادة الجماعة

خوفًا عليه أو رعاية له .. ومثلما نعامل أنفسنا يعاملنا الغرب .. إن عشرات الأنظمة المطلقة الظالمة تستهين بالحياة الإنسانية في العالم العربي ، ولهذا يستهين الغرب بنا ويتعامل معنا بالأسلوب نفسه الذي نتعامل به مع أنفسنا .

في اجتماع لمجلس النواب الإسرائيلي وقف أحد الأعضاء يهاجم رئيس الحكومة لإصداره أمرًا بقتل عشرات من العرب ، ورد رئيس الحكومة بعنف كيف تكلمني في عشرات من العرب بينما العرب أنفسهم يقتلون الآلاف من أنفسهم ولا يسائلهم أحد .

وهذا منطق قد يبدو ظالمًا .. لأن الظلم لا يبرر الظلم ، ولكنه منطق سائد .. إن ظلم القريب لنا يشجع الغريب علينا واستهانة النظم المستبدة بدم الإنسان وحريته وحقوقه تشجع الغرب على الاستهانة بهذا كله ، ويكون العذر المقدم المعتبر عندئذ ـــ إذا كانوا يتعاملون فيما بينهم هكذا فكيف نعاملهم بشكل أفضل .

ولو كنا مسلمين حقًا كما نقول ونتبع شريعتنا ومبادئها لما

كان واقعنا هكذا .

إن الغرب تمكن منا حين تمكن منا الحكم المطلق بكل ما يحمله الحكم المطلق من استبداد وجنون عظمة وحماقة تحسب أنها هي لب الحكمة .

ويوم يسود حكم الشورى الحقيقي بيننا .. يوم نعود إلى منابع قوتنا الكامنة في الإسلام والشريعة يومئذ سيتغير موقفنا وتختفي من حياتنا المسوخ المشوهة مثل صدام حسين وأمثاله .

* * *

الظالم .. والسيف

الأهرام 5 سبتمبر 90

لست أعرف متى قرأت هذه العبارة ولا أذكر قائلها ، ولكنها طفت على سطح الذاكرة في الأحداث الأخيرة .. تقول العبارة : « الظالم سيف من سيوف الأقدار في الأرض ، يقتص الله به ثم يقتص منه » .

ولعل هذه العبارة تستمد معناها من قول الله تعالى : ﴿ **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون** ﴾ .

تذكرت هذا كله حين ظهر شبح صدام حسين في المنطقة ومضى يصول ويجول ويهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور .

قلت لنفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذا ظالم سلطه الله علينا ، وتذكرت الدعاء الشهير الذي يقوله

المسلمون أثناء صلاة القيام .

« ربنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا » .

وها هي الأقدار تسلط علينا بذنوبنا من لا يخاف الله ، ولا يرحم مخلوقاته .. على من تنطبق الصورة إن لم تنطبق على صدام حسين ، إن الرجل يهدد المنطقة العربية كلها بالدمار ، ويهدد شعبه وشعوب العالم بالهلاك ، وهو هلاك من لون جديد .. غازات سامة وحرب كيميائية .. وهو يعلم جيدًا أنه لو أطلق صاروخًا واحدًا من صواريخه السامة فسوف يوجه العالم كله لشعب العراق ضربات قاصمة ، وسوف يهلك الآلاف ومئات الآلاف وربما الملايين من أبناء الشعب العراقي ، وسيتحول العراق ــ لا قدر الله ــ إلى خرائب .

كل هذا لا يهمه .. ولا يردعه .. ولا يثنيه .. ولا يعمل له حسابًا .

نحن أمام رجل لا يخاف الله ، وبالتالي فهو لا يرحم

عباده .. صحيح أنه مسلط عليهم للابتلاء ..ولكنه لا محالة هالك بعد أن يؤدي مهمته .

إن الظلم الذي يرتكبه الظالم محسوب عليه ، فهو اختيار إرادته الحرة ، وربما كان هذا الظلم يحقق قانونًا من قوانين الحياة كقانون الابتلاء مثلاً : « إذا كان الناس على قدر من الصلاح » أو قانون الانتقام : « إذا كان الناس جميعًا فاسدين » .

رغم هذا كله فإن الظالم محاسب على ظلمه ، ومثلما يقتص هو من الناس سوف يقتص الله منه .. والفرق بين الأمرين رهيب .

إن مصيرًا مخيفًا ينتظر صدام حسين ، والأقدار التي سلطته على الناس سوف يسلطها عليه المنتقم الجبار سبحانه .

هذا ناموس كوني .. وغدًا نرى وترون .

* * *

الرجل والظاهرة

الأهرام 6 سبتمبر 1990

ليس صدام حسين في الحسابات النهائية مجرد رجل .. إنما هو ظاهرة مرضية .. وهي ظاهرة تنشأ كثيرًا مثل طفح جلدي في المجتمعات التعيسة لدول العالم الثالث أو النامي أو المتخلف .. في هذا العالم تشيع فكرة الزعيم الأوحد ، والقائد الملهم ، والمخلص المفرد ، ومن الطبيعي بعد هذا كله أن تشيع فكرة الرأي الواحد والحزب الواحد .. ومن المنطقي بعد هذا كله أن يشيع هذا الحزب في الناس خوفًا يعلو خوفهم من الله تعالى ، فينقلب الناس من مؤمنين إلى مشركين دون أن يدركوا .

إن فرعون مصر وهو فرعون لا نعرف اسمه ، تجاهل القرآن الكريم اسمه رغم أنه ذكر اسم رئيس وزرائه هامان ،

إشارة إلى أهمية الظاهرة ودلالتها قبل أهمية الشخص ودلالته .. إن الظاهرة هي المخيفة ولا عبرة بما تحمله من أسماء .. إن ظاهرة الطغيان تخيف الناس بما ترتكبه من عبث بالأرواح والأموال والأعراض ، ويزيد هذا الخوف في قلوب الناس حتى يغلب خوفهم من الله تعالى ، عندئذ يعلن الحاكم عن ألوهيته وألوهية حزبه .

بالنسبة للظاهرة الفرعونية أعلن الملك ذات يوم إعلانه الشهير ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ .. بالنسبة لظاهرة صدام حسين أعلن عن تأليه حزب البعث العربي الاشتراكي .. وكان ذلك يوم صدر قانون يقضي بالإعدام على كل من يغير انتماءه لحزب البعث وينضم أو ينتمي لأي حزب آخر .. راجع كتاب حقوق الإنسان في العراق ، وهو الكتاب الذي نشرته الزهراء للإعلام العربي وتضمن تقارير المنظمة العربية لحقوق الإنسان .

يومئذ صار حزب البعث العراقي إلهًا حاكمًا ، وصار

صدام حسين هو فرعون العراق الجديد .

حدثتني مصرية عائدة من العراق أنها دخلت بيتًا عراقيًا لتشرب كوبًا من الماء ، فواستها ربة البيت العراقية ، وغلب السيدة المصرية حزنها فبكت وهي تسأل العراقية .. لماذا تفعلون بنا هذا كله .. وردت المرأة العراقية وهي تشير إلى فمها اسكتي .. نحن هنا مقهورون جميعًا ولا شيء بيدنا .

هذا القهر المخيف هو الذي يحكم العراق اليوم ، وهذا القهر هو المناخ الذي تولد فيه ظاهرة الطغيان ، إنها لا تولد في مجتمع ديمقراطي أبدًا ، إنما تحتاج إلى مجتمع مقهور وطاغية مستبد .

* * *

مدد يا شيخ صدام ..!

الأهرام 7 سبتمبر 990

نحن ننكر أشياء كثيرة على صدام حسين ، ولكن الشيء الذي لا يمكن إنكاره عليه أنه ممثل قدير خفيف الدم ، وهو يملك القدرة على تقمص الأدوار والتعبير عنها سواء كان الدور دور زعيم ملحد ، أو دور بلطجي في حانة ، أو دور مجاهد إسلامي .. إنه يؤدي أدواره جميعًا بنفس البراعة ، الأمر الذي يقطع بأنه ممثل موهوب مثلما هو طاغية موهوب ..

لقد ظهر على خشبة المسرح في دور زعيم بعثي علماني يرتدي بنطلونًا من الجلد الأسود وجاكته شمواه بني وحذاء كاوتش ، كانت أظافره طويلة ومتسخة ولكنه كان قادرًا على الكلام ثلاث ساعات في بعث الأمم من ركودها .

أيضًا مثل صدام حسين دور المتآمر القاتل أثناء صعوده

إلى كرسي السلطة وكان تمثيله مخيفًا بقدر ما كان رائعًا ... كان يكفي أن ينظر في عين ضحيته فيصيبها بالشلل ، ثم يخرج مسدسه وينهي خلافهما في الرأي .

بعد ذلك سنحت له فرصة العمر حين لعب دور القائد العربي الذي يصد جحافل المجوس الكفرة ، كانت الثورة الإسلامية في إيران هي العدو ، وكان الخميني عنده هو الشاهنشاه المعمم ، وقال في الثورة الإسلامية ما قاله مالك في الخمر ، وأدى دوره كعميل أمريكي باقتدار فني بالغ ، واستمرت المسرحية تسع سنوات ..

ثم جاء دوره الأخير الخالد ، الذي يكتب بأحرف من النيلة على جدران الخميلة ، وفي هذا الدور ، لبس صدام حسين عمامة شيخ الإسلام وركب فرس خالد بن الوليد ، وأمسك بسيف علي بن أبي طالب ، وزعق زعقة الجهاد ، وأمر عسكره بالاستعداد .. كان يداري في بطنه دولة الكويت التي ابتلعها ، وكانت تثقل على معدته ، وكانت آثار

الفريسة تظهر على شاربه الكث وأصداغه العريضة ، وكان يريد أن يتجشأ ولكنه لم يستطع ، في هذه الظروف التاريخية دعا المسلمين إلى الجهاد ضد عدو كان هو السبب في مجيئه ..

سأل قروي ساذج : نجاهد ضد من يا صاحب الفضيلة :

قال الشيخ صدام : ضد أمريكا ، لقد اختار الله الشعب العربي لإنقاذ البشرية من قوى البغي العالمي ، وأمريكا هي رأس البغي ..

قال القروي الساذج وهو يزعق صارخًا وراقصًا : مدد يا شيخ صدام .. مدد ..

* * *

الشعوب .. والحكام

الأهرام 8 سبتمبر 90

لا نريد لأزمة الخليج أن توقع بين الشعوب ، أو تزرع الكراهية بينهم ..

لقد واجه الرصاص العراقي صدور أطفال الكويت ، وواجه العاملون من أبناء العالم العربي أهوالاً وهم يهربون بجلدهم من جحيم الحرب ، ويقف اليوم ملايين المسلمين الذين ذهبوا للعمل في الكويت أو العراق ، يقفون في الصحراء بغير سقف ولا ماء ولا دواء ، ويموت منهم الأطفال والعجائز ، فيدفنونهم في رمال الصحراء .. وقد بدأت تشيع في الشوارع العربية نغمة تقول انظروا ما فعل الفلسطينيون .. أو انظروا لما فعله الأردنيون .. أو انظروا لما فعله العراقيون .

ونريد أن ننبه الشارع العربي إلى المؤامرة .. أن أحد

أهداف أزمة الخليج أن ينكر العربي أخاه العربي أو يكرهه أو يزدريه .. وبهذا يسهل عليه بعد ذلك أن يلجأ إلى الأجنبي ويرتمي في أحضانه ..

والشيء الذي نريد أن ننبه إليه أنه ليس بين الشعوب العربية جميعًا أي تناقض أو خلاف ..

التناقض والخلاف موجودان بين حكام الشعوب والمهيمنين على أقدارها .. وهؤلاء الحكام ــ أو بعضهم ــ مفروضون على الشعوب ، ولم تخترهم الشعوب بإرادتها الحرة ، وبالتالي فإن تصرفات هؤلاء الحكام وخلافاتهم يجب أن تظل خارج دائرة اهتمام الشعوب ..

لنترك الحكام يتصارعون معًا ولتبق الشعوب خارج دائرة الصراع ، إن الشعوب باقية والحكام يتغيرون ..

إن الاستعمار التقليدي كان هدفه الإيقاع بين طوائف الشعب الواحد ، وكان هدفه الإيقاع بين الشعوب بعد

ذلك ، وها هو صدام حسين يؤدي للاستعمار خدمة هائلة بقصد أو بدون قصد .. ويزرع بمغامرته في السطو على الكويت واحتلالها بذور الكراهية والشقاق ، دعونا نقاوم ــ كشعوب ــ هذه المحاولة .

إنها محاولة إن أفلحت خرج منها شر عظيم .

* * *

تخطيط حزب البعث

الأهرام 9 أغسطس 1990

في نهاية الستينيات بدأ حردان التكريتي وزير الدفاع العراقي الأسبق ينشر مذكراته ، وكان ظنه أن المذكرات تعتبر تحليلاً صادقًا لجزء متقلب من تاريخ العراق الدامي .. على أنه لم يكد ينشر الجزء الأول منها حتى دفع حياته ثمنًا لصراحته وقتله نظام البعث .

قرأت المذكرات التي نشرتها دار الزهراء ، وأعتقد أن أخطر ما فيها ما أورده حردان التكريتي عن المخطط الذي وضعه حزب البعث لبسط نفوذه على الدول العربية .

يقول حردان التكريتي إن التخطيط الذي يسير عليه حزب البعث يعتمد على النقطة الجوهرية التالية :

« لا بد من السعي قبل كل شيء لانتزاع القيادة من القاهرة ، على أساس أن الدور القيادي لمصر قد انتهى » .

وكانت الخطة لذلك هي التالية :

1 ـــ اتخاذ مواقف ثورية متطرفة في القضايا العربية ، والاستفادة من ذلك إعلاميًا لكسب أكبر عدد ممكن من الشباب في العالم العربي .

2 ـــ شراء الصحف الناصرية التي تصدر خارج مصر صحيفة صحيفة ، لتحويل الناصريين إلى بعثيين أو على الأقل مسيرين من حزب البعث .

3 ـــ شراء أعداء النظام الناصري ، من المصريين وغير المصريين لحشدهم ضد مصر ، وجعل القاهرة أمام عدو داخلي يلهيه عن التعرض للبعث وطبقًا لتحليلات الفيلسوف ميشيل عفلق (مؤسس حزب البعث) .. كان وضع مصر بعد هزيمة 67 يوحي أن البعث سينتزع القيادة من مصر إلى

الأبد لأن العجز الاقتصادي في مصر ، وارتباطات مصر الدولية تمنعها من التغلغل كسابق عهدها في الدول العربية ، مما يفتح مجالاً لحزب البعث للقيام بدوره الجديد . هذه هي الخطوط العامة التي ذكرتها المذكرات ، وكان السبيل إلى تنفيذها هو المال .. وهذا موضوع آخر نعود إليه تفصيلاً فيما بعد ...

ولعل هذه الخطوط توضح المؤامرة التي أعدها البعثيون العراقيون للأمة العربية ، وهي مؤامرة وصلت مداها بانقضاض حزب البعث على الكويت .. وإن كان الانقضاض قد تم في ثوب زائف من ادعاء الإسلام والبحث عن العدالة الاجتماعية .

وهو ادعاء خدع بعض الساذجين الذين تصوروا أن صدام حسين يحرر القدس عن طريق الكويت .

* * *

كيف نصدق ؟

الأهرام 10 سبتمبر 1990

لم يدهشني اعتداء صدام حسين على الكويت وتوقعته قبلها بأيام .. وقد رمزت إليه بالزلنطحي وقصة الذئب والحمل .

ولم يخدعني صدام حسين يومًا واحدًا منذ أن ظهر على مسرح الأحداث ، وخلال حربه مع إيران ، لم تدخل عقلي حكاية حمايته للعروبة من جحافل المجوس الكفرة .. إنما رأيته في ثوب عميل مزدوج يؤدي للغرب والشرق مصالحهما ، ويحطم لهما قوة دولة مسلمة قامت فيها ثورة إسلامية .. وكتبت في هذا الاتجاه .

الذي أدهشني وحيرني أن هذا الرجل الذي صنع عقله ميشيل عفلق ، وصنع مزاجه الناري طموح داخلي قاتل ، قد

استطاع أن يغرر ببعض الشباب المسلم ، ويقنعه أنه قام يجاهد في سبيل تحرير فلسطين .

إن الكويت تبعد عن فلسطين مسافة أكبر من المسافة التي تبعدها مصر الجديدة عن شبرا .. ولو أنه جاء يحرر شبرا فحرر مصر الجديدة بطريق الخطأ لقلنا إنه عمى القلب والمسافة قريبة ، ولكن ماذا نقول في رجل يهدد إسرائيل ثم يوجه ضربته للكويت ، ثم يجد بعد ذلك من الشباب المسلم من يصدقه في مزاعمه بشأن تحرير فلسطين .

لقد كشفت أحداث الخليج عن محنة محزنة في تصوري .. هذه المحنة هي الوضع الذي انتهى إليه فكر بعض شبابنا من المسلمين .

كيف يصدق الشباب سفاحًا ضرب المسلمين ومضى ينشر في الأرض الفساد . إن هذا دليل خلل فكري يحتاج إلى علاج .. كيف نصدق ــ كشباب ــ أن رجلاً له هذا التاريخ العريق في عدائه للإسلام يمكن أن يصبح ــ في

لحظة ــ قائدًا للمسملين ومجاهدًا .

هل الإسلام كلمة تقال بالفم ؟ .

هل هو مزايدة على الشعارات ؟ .

هل هو دعوى بغير دليل ؟ إن الإسلام يعلمنا ألا نقبل دعوى بغير دليل .. إن صدام حسين يدعي اليوم أنه مسلم .. وأنه من قريش .. وأن نسبه ينحدر من علي بن الحسين رضي الله عنهما .. وأنه يريد تحرير فلسطين فما هو دليله على ذلك ؟ ..

إن دليله هو تاريخه الدموي في ضرب الإسلام وشجرة عائلة كتبها درويش أحمق وقبض ثمنها عدة دنانير وقنينة من العرقي .

كيف يصدق أي إنسان يعقل مثل هذا الهراء ؟ .

* * *

رسالة مفتوحة

الأهرام 11 سبتمبر 990

بعث إلي الدكتور طارق محمد بن لادن بالرسالة المفتوحة التالية .. وهي رسالة يوجهها إلى الرئيس العراقي صدام حسين .. يقول د . طارق :

« فخامة الرئيس .. منذ ستة أسابيع وأمتنا العربية والإسلامية تعيش المحنة التي فرضتها علينا ، وهي محنة تهدد إرادة الأمة وثروتها وأحلامها وحاضرها ومستقبلها .. وهي محنة تترك الحليم حيران ، ومنذ أيام فوجئنا برسالتك التي تدعو فيها للجهاد المقدس على حكام مصر وحكام السعودية .. وتحمل فيها على الرئيس حسني مبارك وعلى الملك فهد بن عبد العزيز .

وحيث إنني مسلم العقيدة عربي الأصل سعودي الموطن

مصري الهوى .. أجد نفسي من المخاطبين بدعوتك .. المقصودين بندائك ، وسوف أتجاوز عما في رسالتك من لغو وسباب وأسألك نافذًا إلى لب الموضوع :

هل تريد من شعب مصر وشعب السعودية أن يثوروا على فهد ومبارك ليصبحوا أحرارًا كإخوانهم شعب العراق .. أم يثوروا لتحقيق الخير الذي ينعم به العراقيون ؟! أم يثوروا لتحقيق الأمن والأمان الذي يبيت فيه العراقيون .. إن من يرى إنجازاتك في العراق يدعو الله بقلبه ألا يذوق شعب في الأرض ما ذاقه شعب العراق .

لقد وزعت الجوع والخراب على الناس بالتساوي ، وأشركت الشعب في مأتم كبير على مليون شهيد ، ومليوني طفل يتيم ، ومليونين من الثكالى والأرامل .

إن السعودية ومصر بلاد مفتحة الأبواب تسودها شريعة الله ويحرسها القضاء ، ويخرج منها ويدخل إليها كل يوم ملايين .. إنني أدعوك أن تختبر شعب العراق وتمنحه حرية

السفر لمدة أسبوع واحد ، وانظر هل يبقى في العراق من أحد .. وهل يبقى من جيشك أحد ؟ .. نحن لا ندعي الكمال في مصر أو السعودية أو غيرهما من البلاد ، ولم يقل بهذا فهد أو مبارك ، نحن نسعى للنهوض والتقدم والتعاون والتكافل والتصحيح والتسديد ، وكلنا يقبل النصيحة ويسعى إليها ، ونحن على يقين أن الشعبين السعودي والمصري يعيشان تحت قيادة فهد ومبارك أفضل ملايين المرات من حياة الشعب العراقي الشقيق المقهور المغلوب على أمره .. ولك الفضل في هذا » .

* * *

صور .. صور !!

الأهرام 12 سبتمبر 1990

يقدم الطاغية لشعبه عادة مع الخبز السيئ أحلامًا لا نهاية لها ، وأماني تدخل في نطاق المستحيل ..

وينطبق على الطغاة قول الشاعر التركي ناظم حكمت :

إنهم يغذون الأطفال بالكلمات .. ويطعمون الكبار بالخوف .. ماذا يحدث إذا تذمر الشعب أو حاول التحرك ..

إن الطاغية يخرج من المأزق عادة بزيادة إرهابه .. وزيادة عدد البرامج عنه في الإذاعة والتليفزيون ، وزيادة عدد صوره الموجودة في الشوارع ..

وفي أوروبا وأمريكا لن تجد في الشوارع الرئيسية صورًا لرؤساء الجمهورية أو الملوك أو الحكام ..

وفي الدول الديمقراطية لا يعرف الناس أسماء حكامهم الثلاثية ، ولا يعرفون أشكالهم بدقة ، ويندر كثيرًا أن تجد من يهتم بالسياسة في هذه الدول هذا الاهتمام المجنون الذي تتوقف فيه الحياة اليومية ، لكي يصفو الجو للمناقشات البيزنطية .

أما في دول الشرق التي اعتادت على الطغيان ، فإن أقل أفراد الشعب يعرف أسماء حكامه الثلاثية ، ويعرف أصولهم العائلية ، ويعلم أن ما يقال عن نبل محتدهم وكريم عنصرهم هو أكاذيب لا وزن لها ، ولكنه يحفظ هذا كله من باب الخوف والنفاق ، لأن الجهل بهذا كله يعرض الإنسان للخطر .. ويعرضه للاضطهاد ..

وقد لاحظت مقدمة البرامج الأمريكية بربارا والترز هذا كله ، في زيارتها الأخيرة للعراق ، وهي الزيارة التي أجرت فيها حديثها مع صدام حسين ..

قالت بربارا والترز في مقدمة البرنامج ، إن عدد سكان

العراق يبلغ 30 مليونًا ، منهم 17 مليونًا من البشر و 13 مليون صورة من صور صدام حسين ..

لقد حسبت المذيعة صوره في الشوارع والبيوت والمساجد على أساس أنها جزء من الشعب .. وكانت سخريتها من هذا التعشق للذات واضحة ..

والحق أن الطاغية لا يرى إلا صورته هو ، ولا يستمع إلا لنفسه ، ولعل هذا هو أدق تفسير لواقع المأساة السياسية في العراق .

* * *

بيان المؤمنين بالشورى

الأهرام 13 سبتمبر ٩٠

اتصل بي المجاهد الإسلامي إبراهيم بن علي الوزير ، وبعث إلي بيان الأمانة العامة لاتحاد الشوريين التعاونيين ..

يقول البيان : « في الوقت الذي تعربد فيه إسرائيل ، وتنتهك الحرمات وتقتل الأطفال والنساء ، وتمزق حقوق الإنسان بوحشية .. في الوقت الذي يستغيث فيه المسجد الأقصى بكل مقدساتنا وحرماتنا في فلسطين ، في هذا الوقت ، يقوم النظام في العراق ، الذي يشارك شعبه شعب فلسطين في كل مآسيه ، يقوم نظام العراق لا بإنقاذ إخوانه وأداء واجب النصرة ، وإنما يقوم باجتياح الكويت ، البلد الصغير والجار بالجنب ، وبذلك يوقع أمتنا في مأزق من أخطر المآزق .

إننا نناشد العراق ألا تتغلب على قادته إرادة الانتحار العام ، وأن ينسحب بكرامة وشرف وقرار من إخوانه .. وأن يعود إلى الكويت أمنه وسلامه وحرماته ، وأن يسهم في إطفاء الحريق الذي أشعله والذي يمكن أن يأتي على كل شيء ..

وفي غياب الشورى عن الأمة ، تقع المآسي والكوارث المدمرة .

إن الحرية والشورى والديمقراطية هي التي يجب أن تعم بلادنا الإسلامية والعربية .. إن الحرية والعدل يحرران إرادة الشعوب ، وهذا يطلق مواهب الأمم ، ويفجر إيجابياتها ويحررها من قوى البغي ، ولنتذكر ما قالته الحكمة في الجاهلية الأولى « إن العبد لا يحسن الكر » .

إن طريق الوحدة والكرامة هو طريق حرية الشعوب ، ومؤازرة الشورى .. لماذا لانعتبر بالتاريخ ، بالأمس أعلن أحد زعمائنا أنه قد كسر احتكار السلاح وأنه سيحرر شعب فلسطين ويعيدهم إلى ديارهم ، ومرت الأيام وإذا السلاح

يستخدم في حرب ضارية على أرض عربية بعيدة عن مجال المعركة في فلسطين .. وضاعت الضفة وغزة وسيناء والجولان ..

واليوم تبدأ المرحلة الثانية لأعدائنا بتكرار المسرحية ، فهل نقرأ ، وهل نستفيد من دروس التاريخ وعظاته ..

إن المرحلة الثانية أخطر من الأولى ، فمع هجرة الملايين من اليهود ، ومع تدني قضيتنا عالميًا ودوليًا تصرخ بنا الأحداث الكبرى .. إلى أين .. وكيف نبني الصف الموحد والعقل الرشيد غائب عن الساحة ..

﴿ ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدًا ﴾ .

بترول مجانًا

الأهرام 14 سبتمبر 1990

أعلن الرئيس العراقي أنه على استعداد لأن يعطي بلاد العالم الثالث البترول مجانًا .. بشرط أن يأتوا هم ليأخذوه ، وأن يحضر كل واحد معه شيئًا يأخذه فيه ..

وهذه هي النكتة الثالثة التي يفجرها صدام حسين في أزمة الخليج .

كانت النكتة الأولى هي حكاية الثورة التي قامت في الكويت واستعانت به ..

النكتة الثانية هي ادعاؤه أنه مسلم وشريف ومن نسل سيدنا الحسين .. أليس اسمه صدام حسين.. إن صدام هو اسمه هو ، أما الحسين فهو اسم جده ..

ثم جاءت النكتة الثالثة التي قرر فيها بكرم حاتمي غير مسبوق أن يقوم بتوزيع البترول على دول العالم الثالث مجانًا ..

صحيح أن هناك مشكلة بسيطة في ذلك ؟ هي مشكلة تجاوز الحظر البحري أو اختراقه .. وهو حظر يشترك فيه العالم بأساطيله ومدرعاته وفرقاطاته وحاملات طائراته .. ورغم صعوبة الموقف فإن عرض صدام حسين يغري بالمحاولة ..

نحن نقترع على أصحاب الفلايك وسفن صيد السمك أن تتوجه إلى الخليج وهي تحمل معها بعض البراميل الفارغة ولا بأس من تغطية هذه البراميل ببعض قلوع المراكب ، فإذا سئلت هذه المراكب إلى أين هي ذاهبة ، قالت : إنها ذاهبة للاشتراك في عيد ميلاد ابن الزعيم الركن ، ويمكن أن يأخذ أصحاب الفلايك بعض الطبول والغوازي للتطبيل والرقص وإثبات أنهم ذاهبون إلى حفل راقص ..

ويمكن ـــ بهذه الحيلة ـــ اختراق الحصار البحري بل ويمكن لخبطته لأن الشعب الأمريكي مغرم برقص الغوازي والفرجة عليها ، ويمكن استغلال هذه الظروف كلها لأخذ البترول مجانًا ..

وسوف يسجل التاريخ هذا الموقف التقدمي البعثي الحاتمي الرائع وهو موقف توزيع البترول مجانًا .. إن المرء لا يسعه هنا إلا أن يقول لصدام حسين : تشكر يا معلمي .. قدها وقدود .

* * *

ماذا يقولون عنا ؟

الأهرام 15 سبتمبر 990

لم يسبق أن اتفق الرأي العام العالمي في قضية مثلما اتفق في قضية غزو العراق للكويت ..

ولقد عبر الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران عن إحساس العالم كله بتلخيص وسرعة حين قال :

ــ إن الحق قد انتهك .. ومن المحتمل أن ينتهك من جديد .. كان فرانسوا ميتران يتحدث عن حق شعب الكويت في الحياة تحت خيمة المجتمع الدولي ..

وكان يشير في الوقت نفسه إلى المخاوف التي تهدد السعودية ودول الخليج الأخرى ..

ولقد كانت الحقائق واضحة ، ولا مجال فيها لأي لبس أوغموض وقد لاحظت جريدة فرانكفورتر الجمانية ، وهي جريدة ألمانية أن رغبة صدام حسين في أن يصبح زعيمًا للعالم العربي

وقائدًا له هي التي جعلته يزج زجًا باسم إسرائيل و يزايد عليها بقية الزعماء العرب .. ولقد بدا واضحًا من اتجاهات الصحف العالمية إدانتها المطلقة لصدام حسين .. وإدانتها المطلقة لغزو الكويت .. واعتبرت الصحف هذا الغزو محاولة ديكتاتور يائس أن يحل مشكلات بلاده عن طريق العدوان الخارجي والتوسع .. وكما تقول جريدة الأوبزرفر البريطانية :

إن هذه محاولة مرفوضة تمامًا .. خاصة بعد تجربة هتلر في ألمانيا النازية أيام الرايخ الثالث ..

لقد شرب العالم كله كأس الويل من هذه الحرب ، ولا يريد العالم الآن أن يكرر خطأه .. لقد سكت العالم على هتلر حتى استفحل .. ولكن هتلر الخليج لن يلقى نفس المعاملة ..

أما الصحف الإسبانية فقد صرحت أن استبعاد صدام حسين أمر ضروري لإحلال السلام في الشرق الأوسط .

أما الصحف الفرنسية فترى أن الرئيس العراقي أحرق مراكبه ووضع نفسه في مأزق خطير ، وهي تتنبأ أنه سيواصل الهروب إلى الأمام ، عن طريق إثارة الأزمة وتعميمها وجر أطراف جديدة إليها .

ولقد اختل نظام العالم كله بعد غزو الكويت كما تقول جريدة الإكسبريس الفرنسية ، وبدأت أولى الأزمات الدولية الكبرى بعد الحرب الباردة ، وهي أزمة تهدد الحدود المتوارثة من تصدع الإمبراطوريات القديمة ..

* * *

أهون الضررين

الأهرام 16 سبتمبر 1990

كتبت أحذر قبل ذلك من تأثير الصراع في الخليج على مشاعر الأفراد في الشعوب العربية ، وقلت إن إحدى الثمار المريرة لغزو الكويت كانت هي زرع الفتنة بين الشعوب وتأجيج الكراهية بين الأفراد .

أتظن أن الشعب الكويتي يحب الآن الشعب العراقي كما كان يحبه من قبل ؟ ، أتظن أن الشعب الكويتي يطمئن الآن للشعب الفلسطيني كما كان يطمئن إليه من قبل ؟ .

إن الجواب ليس صعبًا .

لقد دق صدام حسين برأسه العنيد أكثر من إسفين بين الشعوب وكان الشعب الفلسطيني ضحية من ضحاياه مثلما

كان الشعب الكويتي ضحية ، مثلما أن شعب العراق هو الضحية الأولى .

حدثني صديق عائد من الكويت أن مشاعر الشعب الكويتي قد تغيرت تجاه الفلسطينيين العاملين في الخليج بعد الدور الذي لعبوه في التعاون مع قوات الغزو العراقية .

وهذه المقولة تنطوي على شيء من الحق وشيء من عدم الإنصاف ، فقد جاء تعاون الفلسطينيين مع العراق رغم أنفهم ، فهم لا يضمنون إذا خرجوا من الكويت ورفضوا التعاون مع العراقيين أن يجدوا عملاً في مكان آخر ، وهم لا يستطيعون الذهاب إلى أي مكان آخر في العالم العربي والبقاء فيه لأن حكومات العالم العربي ترفض دخولهم ولا تمنحهم تأشيرات .

أين يذهبون إذن ؟

لقد كان موقفهم صعبًا ، وكان أهون الضررين في نظرهم

هو البقاء في الكويت والتعامل مع القوات المحتلة ..

ولا عبرة هنا بسلوك قلة من الموظفين الأرزقية للحكم على شعب بأكمله ، إن المعتدلين من زعماء الانتفاضة الفلسطينية يعربون عن قلقهم منذ أكثر من عامين ونصف إزاء ما يشهدونه من مساندة العالم الغربي والعربي لرجل له سجل إرهابي حافل مثل صدام حسين ..

ويقول صعب عريقات إن كثيرًا من الفلسطينيين يحسون بالحزن لهذه التفرقة في نظرة الغرب إلى كل من احتلال إسرائيل لأرضهم ، واستيلاء العراق على أرض الكويت .. إن هذا يمثل موقفًا غير عادل بالنسبة للفلسطينيين ، لأن الاحتلال الإسرائيلي يتلقى دعمًا من نفس الدول التي تعارض العراق حاليًا ..

وهكذا أوقع صدام حسين بين الدنيا كلها .

* * *

ما هو الفرق ؟

الأهرام 17 ستمبر 1990

سألني صديق : لماذا وقفت الدنيا كلها ضد احتلال العراق لأرض الكويت ، ولم تقف الدنيا كلها ضد احتلال إسرائيل لأرض فلسطين ؟ .

قلت له : هناك أكثر من سبب لذلك .

أولاً : إن احتلال إسرائيل لأرض فلسطين تم في الأربعينيات ، على حين تم احتلال العراق لأرض الكويت في التسعينيات .. وما كان يسمح به العالم منذ أربعين سنة أو خمسين ، لم يعد أمرًا مقبولاً ولا جائزًا اليوم .. إن العالم يتقدم اعترفنا بهذا أم أبينا .

ثانيًا : تم احتلال إسرائيل على دفعات ، وعن طريق خطة

خبيثة مدروسة ، وعن طريق إعلام نجح في قلب الحقائق أمام العالم ، وصور له اليهود كأصحاب وطن طردوا منه وهاهم يعودون إليه ، ونتيجة لإعلام إسرائيل ، ونتيجة لدبلوماسيتها ، ونتيجة لتأثير جماعات الضغط على صناع القرار في الدول الكبرى ، ابتلع العالم الطعم ، وهضم أسطورة أرض الميعاد .

لو قارنا بين الأسلوب الذي تصرفت به إسرائيل ، والأسلوب الذي تصرف به العراق ، فسوف نكتشف أننا نقارن بين دهاء إسرائيل وذكائها في التحرك ، وبين غباء العراق وطحشنته في السلوك .. لقد كانت الطبخة الصهيونية متقنة أما الطبخة العراقية فكانت خائبة .

لقد اجتاح العراق أرض الكويت في ساعات ، ووضع الدنيا كلها أمام المفاجأة بغير مقدمات ، ولم يكن ممكنًا للعالم أن يسكت على عدوان كهذا العدوان السريع الغادر .

لقد أيقظ هذا العدوان خوف العالم كله من أن يكون هتلر

قد ظهر في طبعة جديدة هي الطبعة العراقية المنقحة .

ثالثًا : تقع فلسطين في منطقة أثرية دينية ليس فيها بترول ، أما الكويت فهي واحدة من دول الخليج ، ودول الخليج دول فيها ــ بالمصادفة ــ آبار للبترول ، وهذا البترول ــ بالمصادفة أيضًا ــ هو البترول الذي تشتريه أمريكا ، وبقية دول العالم ، ومن هنا فإن أي عبث بالنار يمكن فهمه أو تبريره في فلسطين أو إسرائيل ، أما في منطقة الخليج فإن اللعب بالنار ممنوع تمامًا ، ولو أدى الأمر إلى إشعال نار سريعة لإطفاء نار بطيئة .

* * *

بيت جحا

الأهرام 18 سبتمبر 1990

يتعرض العقل العربي لضغوط وأكاذيب جعلته يلتوي على نفسه ويدور في حلقات مثل بيت جحا ..

إن العربي مثلاً يسمع القصة منك أو من غيرك ، ويترجم معانيها في ذهنه ، ثم يفهمها فهمًا خاصًا جدًا ، ويشك في التصرفات البريئة أو التي يوحي ظاهرها بالبراءة ، في حين أنه يمر سريعًا على التصرفات الخبيثة على أساس أنها كمين أو شرك منصوب لعقله .

وبهذا العقل الذي يشبه بيت جحا ، جلس العرب يتصورون كيف كان شكل السيناريو الذي قاد إلى أحداث الخليج .

إن التفسير التآمري للتاريخ هو أول تفسير يطرح نفسه على هذا العقل .

إن أمريكا تعرف دبيب النملة التي تسير في حواري أي مدينة ، كيف لم تعرف بحركة الجيش العراقي وهو في طريقه إلى الكويت . هل كانت الأقمار الصناعية تلعب ؟ . كانوا يعرفون إذن ولكنهم سكتوا حتى دخل البغل إلى الأبريق وحشر نفسه فيه وأصبح طلوعه يؤدي إلى تحطيم الأبريق أو تحطيم رأسه .

عندئذ .. وعندئذ فقط تدخلت أمريكا لتساعده على تحطيم رأسه .

لماذا سكتت ؟ ولماذا تدخلت ؟

لقد سكتت لتجد عذرًا لدخول الخليج ، وتدخلت حين وجدت العذر ، هذا السيناريو الغريب يجد قبولاً عند الكثيرين ، وهو سيناريو يذهب إلى أن أمريكا أوقعت في يد صدام حسين معلومات تقول إن الكويت يسرق بترول

العراق ، وكان هذا كذبًا ولكنه كذب يبحث عنه صدام حسين ليبرر التهامه للكويت .

أيضًا يقال : إن أمريكا أوعزت إلى الكويت خلال مباحثاتها مع العراق قبل العدوان ألا تنزل على شروطه وأن تكون متشددة .. وهكذا جهزت أمريكا مسرح الحوادث ودفعت الشخصيات إلى الانفعال وأصبح التصرف محسوبًا ومقدرًا ومعلومًا ويمكن قياسه .

في هذا السيناريو يظهر صدام حسين كعميل يتم تحريكه من قوى خارجية ، وربما كان يتحرك دون أن يدري أنه مسوق إلى الفعل ، وربما كان يتصور أنه هو الذي يحرك الأحداث بحرية كاملة ، بينما هو يتحرك طبقًا لمنطقها دون إرادة .

هذا السيناريو هو أحد السيناريوهات المقدمة ، وهناك غيره الكثير .

* * *

المقامــر

الأهرام 19 سبتمبر 1990

الفرق الأساسي بين صدام حسين وجمال عبد الناصر ــ لو جاز عقد هذه المقارنة ــ هو الفرق بين المقامر والثائر المقامر .

لقد كان عبد الناصر ثائرًا ومقامرًا ، أما صدام حسين فمقامر فحسب .

ولهذا السبب نرى جمهور صدام يتزايد يومًا بعد يوم ، والسبب في ذلك بسيط .

إن الشارع العربي ، فيه من الغوغاء أكثر مما فيه من الفلاسفة أو السياسيين ، وفيه من الدهماء أضعاف ما فيه من المثقفين ، ومن فرط اليأس العربي تصور الشارع أنه لا أمل إلا في مغامرة أو مقامرة تقلب الموازين في كل شيء ، وربما تنجح في إنقاذ شيء !

إن بيت الشعر القديم الذي قاله أمير الشعراء أحمد شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

هذا البيت قد صار هو شعار الشارع العربي بعد طول ما عاناه هذا الشارع من صدمات وبؤس وإحباط .

وهذا ما يستغله صدام حسين .

إنه يلعب على أوتار الشارع .. إن الناس يحلمون ببطل قوي يرهب الدنيا ويوقفها على أظافرها مثل راقصات الباليه .

فليكن صدام هو هذا البطل .

أيضًا يحلم الناس بقدر من العدالة في حل قضية فلسطين ، فليزايد صدام حسين على القضية وليقل ما لم يستطع قوله زعماء القضية من الفلسطينيين أنفسهم .

إن هذا يضع زعماء القضية الفلسطينية في جيبه ، وهذا ما حدث أيضًا ، يلاحظ صدام حسين أن موجة المد الديني

ترتفع في الشارع العربي ، وترتفع بغلو وإفراط يدفع إليه اليأس أو تدفع إليه العجلة .

هنا يرتدي صدام حسين ثوب أبي حنيفة ويتكلم بكلام المسلمين ويزايد عليهم فيسبقهم ويضعهم في جيبه .. وقد امتلأت جيوب صدام حسين بالغوغاء والدهماء ، وفي عالم يتقدم فيه العلم ويتأخر فيه الدهماء ، يظهر بطل جديد للغوغاء .. بطل يلبي حاجة الشارع إلى مغامرة تلهيه ساعة أو بعض ساعة ، ثم تدفعه إلى الوراء سنوات .

* * *

الإسلام والطغيان

الأهرام 23 ستمبر 1990

التفكير عادة عقلية ..

هو أسلوب من أساليب عمل العقل . إنه العقل الحر يختار كلما مضى في طريقه في الحياة ..

ويتدرب العقل من خلال حركته على إحكام الاختيار وحسن التصرف ولو تصورنا أن العقل لم يعتد على الحرية ، لو تصورنا أن الإنسان يعيش في مجتمع شمولي ليس المطلوب فيه أن يفكر الإنسان ، وإنما يتبع ، وليس المفروض فيه أن يبتكر ، وإنما يقلد ، وليس الواجب عليه أن يبدع ، وإنما يكرر ..

لو تصورنا هذه التركيبة فسوف نعرف لماذا يتوقف العقل

الـبشري في المجتمعـات الشموليـة أو الديكتاتوريـة أو الاستبدادية .

إن العقل لا يتحرك في هذه المجتمعات إلا من خلال قوالب جاهزة ومعدة سلفًا ، وهذا يقضي على حرية العقل .

وعلاقة العقل بالحرية هي نفسها علاقة الإرادة بالحرية .. إن المجال الذي تعمل فيه الإرادة هو الحرية .

إذا غابت الحرية توقف عمل الإرادة ، وتوقف عمل العقل ، وتحول الإنسان من وجود فعلي إلى شبح لا إرادة له ولا كيان .. وهذا ما يقع للبشر تحت حكم الطغاة .

ولهذا السبب الجوهري يقف المسلم ضد الاستبداد لأن دينه يدعو إلى الشورى ويأمر بها رسوله المعصوم الذي يوحى إليه .

أيضًا يقف المسلم ضد الطغيان لأن دينه يدعو إلى الحق والقسط والعدل .

أيضًا يقف المسلم ضد قهر الشعوب ، لأن القهر يفسد فطرة الإنسان ويحوله من عبد لله إلى عبد لنظام أو حزب ..

أيضًا يقف المسلم مع الجهاد بوصفه مرابطًا إلى يوم القيامة .. وليس هناك أي حلول وسط بين الإسلام والطغيان ، إن الإسلام يقف موقفًا واضحًا وصريحًا من الطغيان ، إن العداء بينهما عداء جوهري وعميق ..

الإنسان في الإسلام عبد لله وحده .. والطغيان يعني العبودية لغير الله ، ويعني الحاكمية لغير الله ، ويعني التبعية لغير الله .. وهذا كله مرفوض في الإسلام .

* * *

4 أســئلة

الأهرام 25 ستمبر 1990

الأستاذ أحمد بهجت :

تحية طيبة وبعد .. كان لقلمك الحر دور في فضح جرائم صدام حسين ، ذي الأسماء السفلى . التي ابتلى بها مواطنيه في العراق ، بعد أن سلب إرادتهم بالبطش والإرهاب وغسيل المخ .. ثم فاض بها على جميع العرب والمسلمين في غزوه الفاجع للكويت .

وهناك أسئلة تتردد في صدري :

1 ــ هل أصبح صدام حسين في نظر وسائل الإعلام سفاحًا مغرورًا وطاغية بسبب غزوه للكويت أم أنه غزا الكويت لأنه سفاح مغرور وطاغية ؟

2 ــ ألم تكن جرائمه وأساطير طغيانه واستبداده معروفة

كلها قبل الغزو ، ومع ذلك كان يعتبر في معظم وسائل الإعلام بطلاً من أبطال العروبة والإسلام ؟

هل الفاصل بين البطولة والطغيان في مفاهيمنا العربية والإسلامية هو فاصل حدودي .. !! بمعنى أن جرائم الحاكم وطغيانه وخداع جماهير وطنه بالدعاية المضللة والإنجازات الكاذبة وغسيل المخ ليل نهار ، لا تؤثر على مكانته كحاكم وزعيم وبطل بالضرورة ، ما دامت داخل حدود وطنه ؟

3 ــ ثم هل صدام العراق هو الصدام الأوحد ، هل هو الصدام الأول والأخير في تاريخنا المعاصر ؟ ألم يظهر صدامون قديمًا وحديثًا ، ألا ينافسه الآن صداميون محليون ــ كل على مقاس بلده ــ .. على من تقع مسئولية السكوت عن هذه الظواهر المرضية التي تلد لنا أنصاف آلهة وعباقرة يحيطون بعلم الماضي والحاضر والمستقبل ؟

إذا كانت الحكومات الشرعية مضطرة ــ بحكم الشرعية الدولية والنظم الدبلوماسية ــ لاحترام نظم الحكم الأخرى ، والتعامل معها كيفما كانت ، فما هو عذر

المفكرين والكتاب والزعماء السياسيين والعقائديين ؟ ولماذا لا يظهرون حقيقة هؤلاء الحكام ؟ .

4 ـــ ما هو النظام الذي يضمن لنا ألا يظهر هؤلاء المستبدون كل فترة في سماء الحياة السياسية ويحيلوا نهارها المشرق إلى ليل مظلم . وما هي الدولة المؤهلة لتكون القدوة والنموذج ؟

مهندس إبراهيم المعلم . دار الشروق

غدًا إن شاء الله تعالى أحاول الإجابة عن هذه الأسئلة .

* * *

الظاهرة والسبب

الأهرام 26 سبتمبر 1990

يسأل الصديق إبراهيم المعلم : هل أصبح صدام حسين طاغية بسبب غزوه للكويت أو أنه غزا الكويت لأنه طاغية ؟ والجواب أن استبداده سابق على غزوه للكويت ، وهو سبب في غزوه للكويت وقد بدأ طغيانه منذ وصوله إلى رئاسة الجمهورية العراقية ، وكانت تصفيته لخصومه من المفكرين والأحرار ورجال الدين السنة والشيعة معًا دلائل قاطعة على استبداده .

وقد ظل استبداده مستورًا داخل حدود بلاده ، فلم يظهر للعالم العربي أو الإسلامي إلا حين اشتبك مع إيران في حرب أنفقت عليها دول الخليج وكان صدام حسين هو الباغي فيها ، ورغم ذلك وقفت معه الدول العربية ، وكان طبيعيًا أن

يستدير نحو الذين وقفوا معه ويصيبهم بشيء من طغيانه بعد أن أصاب غيرهم تحقيقًا للقانون الذي يقول : « من أعان ظالمًا سلطه الله عليه » .

وللعلم ليس صدام حسين هو الطاغية الوحيد في العالم العربي ، إن هذا العالم يشبه متحفًا للتاريخ الطبيعي في الطغيان .. إن فيه شاويشية يحكمون دولاً عريقة ، وفيه ملوك كملوك الكوتشينة ، وفيه كل أشكال الطغيان وألوانه وأصنافه ، ولو نجحت الشرعية في القضاء على صدام حسين لظهر بعده صدام حسين آخر ، لأن الرجل ظاهرة تنمو وتترعرع في ظل غياب الحرية وانعدام الشورى ووجود الحكم المطلق .

مثل هذا المناخ يؤدي إلى ظهور صدام حسين . مثلما يؤدي وجود طفح للمجاري إلى ظهور الناموس والأمراض .

والسكوت على الطغاة جريمة ، وهي جريمة نرتكبها بيسر شديد ونتجاهل أن الطغاة يدمرون آدمية شعوبهم ، ويلوون

فطرتهم ، ويقودون هذه الشعوب بعد ذلك إلى الهلاك .

وأنا أتفق تمامًا مع الذين يرون أن العالم العربي سيظل يتخبط وينحدر مادام فيه حكام مستبدون وشعوب مقهورة ، ولن ينصلح حال هذا العالم إلا إذا فهم دينه وأدرك أن الشورى والحرية هما بداية الإصلاح .

والدولة المؤهلة لأن تكون هي النموذج والقدوة في المنطقة هي مصر .. المهم أن نعمل سريعًا لتعويض ما سبقنا إليه غيرنا من شعوب الأرض .

* * *

بيان أساتذة الجامعة

الأهرام 27 سبتمبر 1990

نشر نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة بيانًا عن أزمة الخليج قالوا فيه : « تلقى أعضاء هيئة تدريس جامعة القاهرة بغاية الحزن والألم نبأ احتلال العراق لأرض الكويت الشقيق بصورة تتنافى مع روح العصر فضلاً عن مقتضيات الأخوة العربية والإسلامية .

إن هيئة التدريس تذكر لدولة الكويت أنها كانت واحة للفكر والثقافة والبحث العلمي على مستوى الوطن العربي ، وسندًا للثورة الفلسطينية وعونًا للعمل العربي المشترك .

إن أساتذة جامعة القاهرة يدينون ذلك الاحتلال الغاشم ، ويحملون العراق المسئولية الكاملة عن كل ما يحدث ، وعن

الانتكاسات التي تترتب على ذلك من انهيار في الموقف العربي ، وتعزيز لمكانة إسرائيل ، وفتح الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي في شئون المنطقة .

إن الاحتلال العراقي لأرض الكويت يعد أفضل خدمة استراتيجية قدمت لإسرائيل ، فقد أدى إلى إهمال شأن الانتفاضة الفلسطينية ، وقدم دعوة مفتوحة لإسرائيل لاحتلال الأردن ، كما أنه غطاء استراتيجي لعملية تهجير اليهود السوفييت إلى فلسطين ، وهي عملية إجرامية تجري على قدم وساق في ظل اهتمام العالم باحتلال العراق للكويت .

إن هيئة التدريس بجامعة القاهرة تدعو الشعوب والحكومات العربية لمساندة الجهود الوطنية والكويتية لتحرير أراضي الكويت على المستويات الدبلوماسية والعسكرية .

إن لمصر موقفًا مبدئيًا ثابتًا عبر تاريخها الإسلامي في مناصرة الحق دون مجاملات ، ولا شك أن معركة التحرير الكويتية جديرة بكل تأييد ، ولذا ندعو الشعب المصري وحكومته لاتخاذ الإجراءات اللازمة التي تليق بكرم شعبنا

وأصالته تجاه استضافة أبناء الكويت الشقيقة واستيعاب الطلاب الكويتيين في المدارس والجامعات المصرية ومعاملتهم معاملة أبناء الشعب المصري حتى تنقشع هذه الغمة ويعود الحق إلى أصحابه .

إن النادي يلفت النظر إلى خطورة وجود القوات الأجنبية في المنطقة العربية . فهي قوات تتبع دولاً لها أهداف تاريخية معروفة تتعارض مع طموحاتنا في التحرر والاستقلال .. إن بشاعة التصرف العراقي لن تصرفنا عن خطورة هذا الأمر ، الذي قد ينقلب إلى احتلال للمنطقة والتحكم في مقدراتها ، وعلى ذلك فإن على الدول العربية مسئولية مضاعفة الجهود لفرض حل عربي سريع لتلك الأزمة تنفيذًا لأمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ .

إننا نناشد القيادة العراقية الرجوع إلى الحق والانسحاب من الكويت وإعادة الشرعية لدولتها حتى تسحب البساط من تحت أقدام القوات الأجنبية وتزيل مبرر وجودها .. وبذلك

تكون قد غلبت الاعتبارات القومية العربية على الاعتبارات العرقية المحلية وتكون بذلك قد تصرفت تصرفًا يرقى إلى مستوى الأحداث .

* * *

نقطة واحـدة

بعث إليَّ الدكتور محمد سليم العوا بالرسالة التالية :

عزيزي الأستاذ أحمد بهجت .

تحية طيبة وبعد .

فقد قرأت في عمودكم اليومي بيان أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة .

وأنا متفق مع كل ما جاء في البيان اللهم إلا نقطة واحدة ، يخطىء في شأنها كثيرون ممن يتناولون موضوع الغزو العراقي للكويت ، وكنت أتمنى ألا يقع في وهم صحتها بيان الزملاء الأجلاء .

وذلك أنَّ الاستشهاد بقول الله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان**

من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ استشهاد في غير محله . فليس هناك فئتان تقتتلان ، ولم يكن ذلك صحيحًا في أي وقت .

بل الواقع أنّ فئة باغية ظالمة هاجمت بليل فئة كانت آمنة مطمئنة . والتفاصيل يعرفها الكافة . وقد عالجتموها أكثر من مرة بأسلوبكم المتميز .

فنحن إذن أمام بغي لم يسبقه اقتتال ، وعدوان لم يترتب على اعتداء أو استفزاز ، وفي هذه الحالة فإن الذي يصح الاستشهاد به ، ويجبُ العمل بمقتضاه هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ .

والذي يحيّر العقل ، ويؤلم القلب ، ويُوحِشُ النفس أنّ العرب والمسلمين أعجز من أن ينفذوا هذا الأمر الرباني الصريح .

وليس للبغي علاج سوى العلاج الذي وصفه القرآن ، ولو كان يعالج بما دون القتال لَمَا أمر الله به لعلاجه . وبغير هذا سيزداد الباغي طغيانًا واستطالة وعدوانًا ، وسيزداد

استهانة بمعارضيه واستخفافًا بناصحيه .

فهل يفقه الحكام والمحكومون فينا هذه الحقائق ويضعون الأمر الرباني بقتال الباغي موضع التنفيذ ؟ .

وعلى الأقل : ألا يجب على المفكرين والعلماء أن يَدْعُوا إلى ما أمر القرآن به بدلاً من الوقوف عند نصٍّ تجاوزت الأحداثُ حُكْمَهُ بفعل الباغي وعدوانه ؟؟

وتقبل خالص تحياتي .

دكتور : محمد سليم العوا

* * *

مأساة مدينة كردية

الأهرام 28 سبتمبر 1990

في المؤتمر الأول الذي عقده الأكراد في مدينة « كولن » الألمانية ، سمعت للمرة الأولى عن مأساة « حلبجة » ..

وحلبجة مدينة تبعد عن بغداد 260 كيلومترًا وتتبع محافظة السليمانية بالعراق .. وقد كان لأهل المدينة عدة طلبات من بينها حلم في الحكم الذاتي ، ورغبة في احتفاظهم بلغتهم الكردية إلى جوار اللغة العربية ، ومجموعة من الطلبات الأخرى التي تستهدف المحافظة على القومية الكردية ، ولا ترقى إلى مستوى الثورة على الحكم العراقي .. وانتهت المباحثات بين صدام حسين وزعماء المدينة إلى طريق مسدود ، وأراد صدام حسين ــ فيما يبدو ــ أن يلقن المدينة درسًا قاسيًا يكون عبرة لكل من يجرؤ على الاختلاف معه ..

وفي يومي17 و 18 مارس سنة 1988 ، قامت القوات الجوية العراقية ـــ بناء على أمر شخصي من صدام حسين ـــ بقصف المدينة بالأسلحة الكيمائية والغازات السامة .

كان سكان المدينة مجموعة من الفلاحين والرعاة .. ولم يكن لديهم علم ولا سابق معرفة ولا استعداد لمقاومة الغازات السامة ، وهكذا نجحت الغارة عليهم في قتل ما يقرب من سبعة آلاف كردي ..

وظلت جثث القتلى من الرجال والنساء والأطفال ملقاة في شوارع المدينة وضواحيها ساعات طويلة حتى دب فيها الفساد ، ولم تعلم الدنيا بما حدث لولا أن ساق الله صحفيًا أجنبيًا لتسجيل ما حدث في فيلم تلفزيوني .. وقد شاهدنا الفيلم في المؤتمر ولم نصدق عيوننا من فرط الوحشية والهول .

وقد مرت أخبار هذه المذبحة وسط تعتيم إعلامي عربي فلم نعرف بها حين وقعت ، وإنما عرفنا بعد عامين من خلال المؤتمر الكردي الإسلامي الأول .. وكانت هذه المعرفة بلا معنى .

من هنا يمكن أن نفهم أهمية الكتاب الذي نشره أحمد رائف وأصدرته دار الزهراء عن مأساة حلبجة ، وهو كتاب وثائقي يضم صورًا ملونة للمأساة والأحداث ويسجلها لوجه الحقيقة والتاريخ ...

ويدين هذا الكتاب نظام الرئيس البعثي صدام حسين ، ويكشف عن وحشية النظام وجبنه مع من هم في عنقه من شعبه ورعاياه .. ولقد اتفقت تعليقات الصحف الأجنبية ـــ رغم تباينها ـــ على أن هذه الجريمة كانت أبشع جرائم القرن الذي نعيشه ..

أمجاد الطغاة .. وعبر التاريخ

مجلة النساء

لا يرى الطاغية وهو يسوق شعبه نحو الهاوية سوى مجده الشخصي ..

هذه عبرة التاريخ القديم والمعاصر ..

لقد سحب فرعون مصر (في عصر موسى) الشعب المصري كله وقاده نحو البحر حيث أغرقه فيه .

كان يرى مجده خلال حركته ، وكان يتصور أن تأديبه لموسى مسألة شخصية بحتة تتصل بكرامته ، فكيف يكون فرعونًا وإلهًا في مصر ، ثم يأتي من يحدثه أن هناك إلهًا لا شريك له ..

لقد غاظه موسى مرتين .. مرة بدعوته إلى الإيمان بالله ومرة حين أراد أن يخرج ببني إسرائيل من مصر .. ولم يكن فرعون طاغية يداري أو يواري .. لقد أعلن في أسباب تعبئته

الجيش عن السبب الرئيسي لتعبئة فقال بنص القرآن :

﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾ .

يقول الله تعالى في سورة الشعراء وهو يقص علينا ما كان من أمر طغيانه : ﴿ **فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ۞ إن هؤلاء لشرذمة قليلون ۞ وإنهم لنا لغائظون ۞ وإنا لجميع حذرون** ﴾ .

هذه هي الأسباب التي ساقها الطاغية لجمع الجيش ؛ ثلاثة أسباب كما نرى :

أولاً : إن عدد العدو قليلٌ .

ثانيًا : إنهم يغيظوننا .

ثالثًا : إننا مستعدون وحذرون وسوف نهزمهم ، وسوف نلاحظ أن فرعون لم يخف نواياه ، ولم يستتر وراء ادعاءات كاذبة ، ولم يتحدث عن الخطر الذي تمثله دعوة موسى على الحالة المالية في مصر أو ما نسميه نحن اليوم بالنظام الاقتصادي المصري ، حين تخرج منه قوة عمل الإسرائيليين التي كانت

تشتغل بغير أجر أو بأجور زهيدة أو تافهة .

لم يتحدث فرعون عن كرامة مصر ، أو سلامتها أو أمنها وكان غاية في الصراحة حين تحدث مباشرة ووضوح عن تأثير الدعوة على مشاعره هو وأحاسيسه ..

لقد كان غيظه وحده كافيًا لتحريك الجيش المصري .. وكانت هناك تأكيدات بأن الجنود المصريين ذاهبون إلى نزهة بحرية ، فهم يتبعون مجموعة من الخدم والعبيد الذين لا يملكون سلاحًا ولا يعرفون فنون الحرب ..

وهكذا قاد فرعون زهرة شباب الشعب المصري إلى مصيره التعس الذي ينتظره ، حيث تحولت أمواج البحر إلى نعوش له .

كان فرعون طاغية كلاسيكيًا صريحًا لا يعمد إلى الالتواء أو اللف أو الدوران ..

وكانت توقعاته وحساباته كلها خطأ .. شأن حسابات الطغاة ، صحيح أنهم غاظوه ، ولكن لم يكن صحيحًا أنه

لا خطر هناك ، لقد تدخلت العناية الإلهية تدخلاً مباشرًا بمعجزة إلهية فانشق البحر لموسى وانطبق على فرعون ..

لست أعرف لماذا تذكرت هذه القصة وأنا أتابع تحركات جبار العراق صدام حسين ..

إن تاريخ الرجل يكشف عن طغيان كلاسيكي يشبه طغيان فرعون ، وإن كانت تنقصه الصراحة والوضوح ..

لقد بدأ صدام حياته السياسية بالانخراط في حزب البعث العربي الذي أسسه ميشيل عفلق في سوريا .. وكان هذا الحزب محاولة لصرف الجماهير عن التيار الإسلامي الذي كانت أمواجه ترتفع ومده يزيد .

وبدلاً من صلة الإسلام التي كان المسلمون يؤسسون عليها حركتهم ، تجيء صلة العروبة ، وبدلاً من السعي نحو إحياء الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها ومبادئها في الحياة ، تجيء فكرة العلمانية الغربية التي ترى أن ندع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ..

كان حزب البعث يدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، مترسمًا خطى الكنيسة الأوربية ، ومتغافلاً عن الفرق بين موقف هذه الكنيسة من العلم ، وموقف الإسلام من العلم .

على أي حال ..

كان واضحًا من حزب البعث حين نشأ أنه نشأ لوقف تيار المد الإسلامي .. أو محاصرته على أقل التقديرات .. وقد ظهر هذا الموقف العدائي من الإسلام والحركات الإسلامية حين وصل صدام حسين إلى رئاسة الجمهورية في العراق ..

بعد سنوات قليله من حكمه كان كل زعماء الحركة الإسلامية إما شهداء أعدموا بالرصاص ، وإما شهداء عن طريق السم ..

تحدثنا الدراسة التي أعدها المركز الإسلامي للأبحاث السياسية ، وهي دراسة تحمل اسم « جرائم صدام » .. وقد ظهرت سنة 1985 ، تحدثنا هذه الدراسة عن جرائم ومآسٍ يصعب على المرء تصديقها لولا أنها دراسة وثائقية مزودة بالأدلة والأسانيد والصور ..

مثلاً .. المرجع الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر

كان هو المرجع الديني وقائد الثورة الإسلامية في العراق ، وأحد المفكرين المستنيرين .. وأحد الثوار الذين تصدوا لحكومة البعث ، وقد تم اعتقاله سنة 1979 ، وأفرج عنه ثم اعتقل مرة أخرى ، وفي المرة الثالثة استشهد في السجن من فرط التعذيب وكان هذا في ربيع 1980 .

ويبدو أن صدام حسين اكتشف بعد تجاربه الأولى في اعتقال المسلمين أن الموتى لا يتكلمون ، ولا يكلفون الدولة مصروفات لإطعامهم .. ومن ثم فقد كان يلقي القبض على زعماء الحركة الإسلامية ، ويتم إعدامهم بعد ذلك مباشرة وفي صمت ... ثم اكتشف صدام حسين اكتشافًا ثانيًا لا يقل أهمية عن اكتشافه الأول .

اكتشف ما اكتشفه معاوية بن أبي سفيان من قبل ، وهو أن لله جنودًا في العسل ..

اكتشف أن السم أفضل وأريح وأهدأ من إطلاق النيران ، كما أن السم لا يكشف عن شخصية فاعله ، ويمكن أن يبدأ آثاره بعد ساعات .

وبدأ تجاربه المثيرة في ذلك ، وانشغلت مخابراته في إحضار السموم الغريبة وانتقائها وتيسيرها واستخدامها لتصفية خصومه ..

وكان يدعو معارضيه للحوار .. ثم يأكلون معًا .. ثم يشربون الشاي ، ويعودون إلى بيوتهم وهم يقولون :

ـــ من يدري .. لعلّ الله هداه .. إنه يبدو معقولاً ومتفهمًا هذه المرة ..

بعد ساعات أو دقائق تبدأ آثار السم .. ويمضي الضحايا إلى سكينة الموت وسلامه ..

ويخلو الجو لجبار العراق وحاكمه .. ولعل هذه التجارب التي قام بها صدام حسين على الشخصيات المدنية السياسية كانت بمثابة حقل تجارب لاستخدام السموم فيما بعد على نطاق واسع في الحروب ..

يقول فقهاء القانون الروماني :

ـــ بالسلاح لا بالسم تخاض الحروب ..

وقد استقر هذا الإدراك منذ أقدم العصور بوجود بعض أساليب محرمة في الحرب ..

ولكن الرئيس البعثي العراقي صدام حسين اكتشف أن فقهاء القانون الروماني كانوا على خطأ ..

إن خوض الحروب بالسلاح مسألة مفهومة ، ولكن خوضها بالسم أيضًا مسألة أسهل ..

من هنا بدأت تجاربه الكيماوية على استخدام الغازات السامة ــ وخاصة غاز الخردل ــ الذي طوره علماؤه ، واستخدمه صدام حسين في حربه مع إيران ، وفي اغتياله الجماعي للأكراد في مدينة حلبجة ..

وليست قادسية صدام سوى جريمة قتل جماعية استخدم فيها الطاغية الغازات السامة في الحرب .. رغم تحريمها بالمواثيق الدولية ..

إذا كان هذا هو شأن صدام حسين مع المواثيق الدولية ، فكيف يكون شأنه مع المعاهدات الدولية .. إنها لا تمثل له سوى قطعة من الورق .

سنة 1975 اجتمع شـاه إيران مع صدام حسـين حيث وقعا معًا اتفاقية عرفت باسـم اتفاقيـة الجزائر ، وطبقًـا لهذه الاتفاقية تم تقسـيم منطقة شـط العرب بالتسـاوي بين العراق وإيران ..

ثم قامت الثورة الإيرانية الإسلامية ، وبدا للغرب أن هذه الثورة تهدد منابع البترول ، ومن ثم فقد أطلقت يد صدام حسين في التعامل معها ..

وهكذا وقف صدام حسين في وسط الجماهير في قلب بغداد سنة 1980 ، وأعلن عن رجوعه في كلامه ، وأعلن أن شط العرب كله من حق العراق ، وأضاف قائلاً وهو يمزق الاتفاقية :

ـــ إذا كانت اتفاقية سنة 1975 قد سلبتنا نصف حقوقنا فإنني أمزق الاتفاقية أمامكم وأعلن الحرب لاستعادة أرضنا المقدسة .. وهكذا بدأت حربه مع إيران ..

وهي حرب دفعت فاتورة الحساب فيها دول الخليج

كالسعودية والكويت والإمارات وغيرها .. وقدمت السلاح فيها أمريكا وأوروبا ..

كان هدف الغرب من مساعدة صدام حسين هو تفريغ قوة إيران كدولة مسلمة تحلم بتصدير ثورتها إلى الخليج .. وكان هدف دول الخليج هو الدفاع عن أنفسها ضد خطر محتمل ..

وقد استمرت حرب إيران ثماني سنوات ، وأنفقت فيها العراق ما يقرب من 200 مليار دولار ، كما أنفقت إيران ما يقرب من هذا المبلغ .

وذهب ضحية الموت والتشوهات في هذه الحرب ما يقرب من مليون مسلم من الجانبين ...

ثم استخدم صدام حسين الغازات السامة ووقعت هدنة بعد أن أحس كلا الطرفين بالإعياء .

بعد عامين من الهدنة ، اجتاحت جيوش العراق أرض الكويت وراح صدام حسين يبرر اجتياحه بأسباب وهمية

لا تقنع طفلاً غريرًا .

فلما وقفت دول الخليج ضده واستنجدت بالغرب والدول العربية ، أسرع صدام حسين عائدًا إلى اتفاقية الجزائر ..

وهكذا أعلن ــ وسط دهشة العالم ومفاجأته ــ استعداده للعودة إلى اتفاقية الجزائر ، وبعث برسالة إلى طهران يؤكد فيها اعتذاره وعودته إلى الاتفاقية ، وتأكيدًا لحسن نواياه فقد قرر سحب جيوشه من أرض إيران (2500 كيلو متر) كما قرر تسليم جميع الأسرى الإيرانيين ..

كان صدام حسين يريد بفعلته هذه أن يعيد الخازوق الإيراني إلى مكانه القديم الذي كان فيه ، بعد أن خذله العرب واستعانوا عليه بالدول الغربية والعربية ..

وكأن صدام حسين يقول للدول العربية :

ــ لقد زحزحت الخازوق الإيراني ، وهأنذا أعيده إلى مكانه .

كان رد فعل إيران هو اعتبار ما جرى نصرًا عظيمًا لها ..

وكان رد فعل الدول العربية يتمثل في تساؤل يقول :

ـ فيم إذن كانت هذه الحرب التي أهلكت المال والرجال ثم انتهت لنفس نقطة البداية ..

فيم إذن كانت هذه الدماء الزكية التي ذهبت من الجانب العراقي والجانب الإيراني ..

إن الأوراق المكتوبة ، سواء كانت معاهدات مع الجيران أو مواثيق دولية ، ليست عند صدام حسين سوى كلمات لا تساوي ثمن الورق الذي كتبت عليه ، ويمكن تمزيقها في أي وقت عند سنوح فرصة جديدة ...

هذه بعض ملامح من صورة جبار العراق الذي يختبىء هذه الأيام وراء عباءة الإسلام ، ويضع على وجهه قناع المسلمين ، ويعلن الجهاد المقدس ضد التدخل الأجنبي الذي كان عدوانه سببًا في مجيئه ..

* * *

القبضـــاي

جريدة الحياة

هو كالحرباء يتلون باسم جديد في كل بلد ..

يعرفه المصريون باسم الزلنطحي ، ويسميه الليبيون الزلنطعي ، ويعرفه اللبنانيون باسم القبضاي .

والقبضاي أصلاً فتوة ، والفتوة أصلاً قوي ، ولكن قوة الفتوة ليست بالضرورة قوة فعلية أو حقيقية يمكن أن يكون القبضاي ضعيفًا ، ولكنه لا بد أن يكون قوي الأعصاب .

إن الأعصاب الحديدية شرط أساسي في القبضاي ، لماذا ؟

لأن القبضاي عادة يعمد إلى المفاجأة بالعدوان ، ويعتمد على المبادرة بالعدوان ، ورفع الصوت والشجار ، والتهديد والتهويش ، ويومًا بعد يوم تنسج الأقوال والمبالغات صورة

للقبضاي ، صورة تزيد كثيرًا على قدراته .

وهذا الفرق بين الأصل والصورة يستغلب القبضاي في إحكام قبضته على ضحاياه الذين يسميهم زبائنه .

والقبضاي صورة تتكرر في الحياة في أدنى صورها أو أعلى مستوياتها ، أنك تجد القبضاي في السوق ، بعد أن يضع في روع السوق ، أنه سيحفظ النظام ويؤدب الزبائن المشاكسين ومع الوقت يتحول القبضاي من تهديد زبائن السوق إلى تهديد أصحاب السوق أنفسهم ، وفرض إتاوة على هؤلاء وأولئك .

وهذا ما يحدث دائمًا للقبضاي .

إنه تركيبة نفسية تحمل سمات البيروقراطية الحكومية ، تركيبة تميل إلى توسيع اختصاصاتها طوال الوقت ، ومثلما يوجد القبضاي في عالم السوق ، يوجد أيضًا في عالم السياسة الدولية ، ويلعب نفس لعبة القبضاي الصغير ويوسع اختصاصاته .

وتوسيع الاختصاصات سمة من سمات القبضاي وبعد أن كان القبضاي الدولي راعيًا لدولته نراه يقفز على دولة أخرى بهدف رعايتها ، أو بحجة حمايتها ، أو مدعيًا أن هذه الدولة كانت جزءًا من أرضه في العصر المايوسيني الأول منذ أربعة ملايين سنة ، أو أن هذه الدولة قد قامت فيها ثورة شعبية خفية واستنجدت به ولهذا دخل حدودها .

ويمضي القبضاي في ادعاءاته المتهافتة المضحكة وهو صامت مقطب والقوة حوله تتكلم .

ويخطىء القبضاي عادة في أحد حساباته الصغيرة ، ويقوده هذا الخطأ إلى هلاكه وهلاك شعبه ويكتشف القبضاي ساعتئذ عن نمر من ورق ، نمر كان يخفي أنه من ورق .

ومشكلة القبضاي أنه يعتمد على سمعته ، وإرهابه ، وخوف الناس منه .

وهذا هو ما يصنع مجد القبضاي ، وهذا هو أعظم أسلحته .

خوف الناس منه ، رغم ما سمعوه عن دمويته وإرهابه .
هذه هي أسلحة القبضاي .

ولو أن الناس واجهوه بشجاعة ، ثم خلعوا قمصانهم وبارزوه بالأيدي لانهزم .

ولكن المشكلة أن أحدًا لا يفعل ذلك ، ومن ثم يستمر القبضاي قبضايًا ، وأحيانًا يتدخل الناس بعد فوات الأوان ، أو يتدخلون متأخرين قليلاً ، بعد أن يكون القبضاي قد خرب الدنيا وحطم نصفها .

* * *

الأسلوب الشرقي

جريدة الحياة

عندما يمرض إنسان في الغرب ويذهب إلى الطبيب ويفحصه الطبيب ويقول له في وجهه :

ــ يا عزيزي ، أنت مريض بالسرطان وأمامك ما بين ستة أشهر إلى سنة في الحياة ، بعد ذلك سوف تموت ، وهنا يحدث كما نشاهد في المسلسلات والروايات الأمريكية ، أن يقول المريض للطبيب :

ــ لا داعي لأن تقول لزوجتي ، ليس هناك معنى لإزعاجها لمدة عام قبل أن تقع الكارثة .

وهنا يرد عليه الطبيب قائلاً : تشجع ، يبدو أنك رجل شجاع . هذا ما يحدث في أمريكا مثلاً .

أما في الشرق ، أو مصر بالتحديد ، فإن أهل المريض يذهبون بمريضهم إلى الطبيب ، وهناك يفحصه الطبيب ويقول له : لا شيء ، قلبك كالحصان وصحتك عظيمة ثم ينفرد بأهله في الحجرة المجاورة ويقول لهم :

ــ إن المريض مصاب بالسرطان وأمامه سنة في الحياة ، عندئذ يرجو أهل المريض طبيبهم ألا يقول الحقيقة للمريض ، وهكذا يعيش المريض ويموت دون أن يعرف بأي مرض عاش وكيف مات .

والفرق بين الصورتين هو الفرق بين الأسلوب الغربي في الحياة ، والأسلوب الشرقي المتبع .

إن الأسلوب الغربي يميل إلى كشف الحقيقة لكل فرد على حدة ، وتحمل المختص مسئولية ما يهمه ويعنيه وهذه الصراحة المؤلمة تخلق قدرة على المواجهة ، وهي قدرة يتدرب عليها الإنسان .

ومن ثم يواجه الغرب مشاكله بأسمائها الصحيحة وبحجمها الطبيعي .

أما في الشرق فإن الأمر يختلف .

إن الصراحة تبدو في الشرق صعبة الاحتمال ، ومن ثم تستبدل بالمداراة والمواربة والأكاذيب .

والإنسان الشرقي لا يواجه مشاكله بأسمائها الحقيقية ولا بأحجامها الطبيعية .

إن الهزيمة عنده تسمى نكسة ، والهرب يسمى انسحابًا والفشل يسمى عجز الإمكانات المتاحة ، والتقصير يسمى قضاء وقدرًا .

ووسط جو المداراة والأكاذيب وإخفاء الحقائق يصعب في الشرق أن تحل مشكلة حلاً حقيقيًا وهذا يبدو بوضوح في أسلوب حل النزاعات في الغرب وأسلوب حلها في الشرق .

لنفترض أن إخوة في الغرب قد اختلفوا وذهبوا إلى قريب لهم ليلعب دور قاضي التحكيم ، إن قريبهم هذا سوف يجلسهم أمامه ويسأل كل واحد عن شكواه من الآخر ، وعن المبلغ المالي المتنازع عليه ، وسوف يسمع شكوى الأطراف

ويحسبها بالورقة والقلم ثم يقول لكل واحد لك كذا وعليك كذا ، وينتهي الأمر .

أما في الشرق فإن الأمر يختلف .

نفترض نفس صورة النزاع ونفترض أنهم ذهبوا إلى قريب للتحكيم سيقول قريبهم لهم قبل أن يسمع القضية .

ـ فليقبل كل واحد فيكم رأس أخيه ، عندئذ ينهض الإخوة الأعداء وتبدأ سلسلة من قبلات الرأس والخد ثم يجلسون للحديث في القضية ، بعد الانتهاء منها سيقول لهم الحكم .

انهضوا وليقبل كل واحد فيكم رأس أخيه ووسط مهرجان القبلات لن يعرف الإخوة المتنازعون من له الحق ومن عليه الحق .

ولهذا السبب يحل الغرب خلافاته لأنه يحددها ويسميها بأسمائها ، أما الشرق فإنه يخترع أسماء جديدة تصلح أقنعة للتجميل ، ولكنه لا يواجه المشاكل الحقيقية .

* * *

دنيا الطغيان .. والجوانب الفكاهية

جريدة الحياة

كان الطغيان يمثل لي منذ طفولتي جانبًا فكاهيًا إلى جوار كونه جانبًا مأساويًا من جوانب الحياة ..

إن البسمة والدمعة تتجاوران معًا في وجه الإنسان ، وليس بين العين والشفاه مسافة بعيدة .

أيضًا تتجاور البسمة والدمعة في سطور الحياة وأخبار التاريخ ، وليس هناك في نظري ما يستوجب الضحك مثل منظر طاغية يسير بعظمة وكبرياء محققًا المثل العامي المصري الذي يقول : « يا أرض اتهدي .. ما عليكي قدي » .

ولقد قال لقمان وهو يوجه النصح لولده ويعلمه الحكمة :

﴿ ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ

الجبال طولاً ﴾ .

إن دبيب الطاغية على الأرض يصور له أنه سيخرق الأرض ، كما أن كبرياءه وهو يمشي توهمه أنه قد صار أطول قامة من الجبال .... وهذا كله حمق لا يعرف أنه حمق ..

ولقد أضحكتني مشية الأوزة التي استحدثها المشاة في جيش هتلر .. رغم أنها مشية مخيفة قصد بها أن تلقي الرعب في قلوب العدو .. ولكنها بدت لي من فرط المبالغة شيئًا مضحكًا ..

والحق أن في تصرفات الطغاة والجبابرة شيئًا هازئًا ساخرًا لا يلبث أن ينقلب عليهم ويضع لهم نهاية مرعبة ومضحكة معًا ..

ولو تأملنا الدعاوى التي يلجأ إليها الطغاة كتبرير تصرف من تصرفاتهم فسوف نجد أنها تنطوي على قدر من الأكاذيب التي يصعب كثيرًا على المرء ألا يضحك عليها ..

في بداية أزمةالخليج .. تحرك الجيش العراقي بأمر من صدام حسين لاجتياح الكويت .. وتم ذلك في جنح الليل .. وثبت فيما بعد أن عساكر صدام أو جزءًا كبيرًا فيهم كان يتصور أنه يتوجه لعمل مناورات مع الجيش الكويتي .

وفوجىء هؤلاء بأنهم يحتلون الكويت طبقًا لأوامر قادتهم ، وكانت كتائب الإعدام في كل فرقة تقوم بإعدام من يحاول الفرار أو يناقش الأوامر العسكرية ...

وهكذا سيق الجيش العراقي بخديعة كما كشف بعض جنوده الذين هجروا الجيش فيما بعد .

لو تركنا هذه النقطة لنقطة أهم منها .. وهي تبرير هذه الفعلة أمام العالم .. فسوف نعثر على جانب من الأكاذيب الفكاهية التي يصعب على الطفل أن يصدقها بغير أن يضحك ..

في البداية قال صدام حسين إن لنا حقوقًا تاريخية في الكويت ، ثم ادعى بعد ذلك أن هناك ثورة في الكويت قد استعانت

به فأعانها ، ثم اتضح أن الثورة المزعومة لم يكن لها وجود خارج ذهنه ، ثم بعد ذلك أعلن عن انقلاب قام به ضابط كويتي واستولى فيه على الحكم بمعونة صدام ، ثم اتضح أن هذا الضابط عراقي .. ثم أخيرًا صدرت الأوامر الجمهورية بضم الكويت إلى العراق واعتبارها المحافظة التاسعة عشرة من محافظات العراق .. إن الفكاهة هي إحراج المنطق فأي إحراج للمنطق أكبر من هذا ؟

نحن أمام سلسلة من الإدعاءات والأكاذيب التي لا تصلح إلا في فيلم فكاهي من نوع « الفارص » .. ورغم ذلك فقد سيقت هذه الأكاذيب أمام المجتمع الدولي كله .. وفيه من يعقل ويفكر ويفهم .

هناك جانب فكاهي آخر في الطغيان ، وهو جانب تحطم الطاغية ..

إن المستبد عادة يبدأ باتخاذ خطوات يتصور أنها تقوده إلى أهدافه .. ولكن هذه الخطوات تكون في واقع الأمر هي الحبل الذي يلفه الأحمق حول عنقه حتى أن يشنق نفسه ..

إن كل طغاة الأرض .. ابتداء من قبائل الهون والتتار ومرورًا بطغاة الغرب والشرق ، ينتهون بحفر قبورهم بأيديهم ، في نفس الوقت الذي يتصورون فيه أنهم يبنون قواعد مجدهم وخلودهم .. ومن هنا تنبع المفارقة .

*   *   *

من طبائع الاستبداد

جريدة الحياة

تواضع الأماني جزء من حكمة البشر ، وانطلاق الأماني والطموح بغير سقف من مبادىء الخير أو قيم الإنسانية ، يعني أن المرء قد ركب حماره الأطرش ووقف به على شريط السكك الحديدية ، بينما القطار القادم يصفر .. والحمار لا يسمع ..

إن النتيجة هنا معروفة سلفًا .

إن القطار سوف يطوي الحمار الأطرش وصاحبه الأحمق تحت عجلاته .. لن يعود الباقي منهما سوى ذكرى ..

لقد أراد جنكيز خان أن يحكم العالم .. ورغب نابليون في نفس الرغبة ، وكاد هتلر يحقق أمنيته في ذلك ، أما صدام

حسين فقد اكتفى بأن يسيطر على جزء من العالم ـــ هو أهم أجزائه ـــ أقصد منطقة منابع البترول ..

ولقد وقف العالم ضد التتار ، كما وقف الجنرال كوتوزرف أمام نابليون واضطره إلى التراجع ، كما أن هتلر ، حين اقترب منه صوت المدفعية الأمريكية والسوفييتية ، أطلق الرصاص على رأسه في مخبأه في عش النسر ، وأمر بحرق جثته حتى لا يبقى منها سوى الرماد ..

لقد فشل أصحاب الأحلام المستحيلة في تحقيق أحلامهم ، فلماذا يتصور صدام حسين أنه سوف ينجح ..؟

هذا هو السؤال الذي تردد على ذهني كثيرًا في الفترة الأخيرة .

ما هي الحسابات التي قادته لهذا الظن ؟

هنا نصل إلى نقطة هامة ... إن الطاغية المستبد عادة ما يخلط في حساباته بين الأحلام والوقائع ، أو بين ما يشتهيه وما يستطيعه .

تقصر المسافة بين ما يشتهيه المرء وما يستطيع تحقيقه .. وتظل المسافة تنكمش حتى ينطبق الحلم على الواقع في ذهن الدكتاتور .. ويخيل إليه أنه قد تجاوز جميع العقبات والصعاب .. ولم يبق باقيًا إلا أن يقفز في الظلام قفزة واحدة ..

ويقفز الديكتاتور ..

وحين تشرق الشمس في الصباح يعرف الناس أنه قفز من الجبل إلى السفح ، ولعله كان يظن أنه ما زال يصعد الجبل .

وإذا كان المستبد لا يشبع ولا يرتوي من الأحلام المستحيلة فإن علاقته بالمال تأخذ نفس الشكل .

إن حاجة الطاغية إلى المال هي شهوة لا تطفئها أي كنوز في الأرض .

إنه يريد المال لتأسيس جيش قوي ، وهو يريد المال لشراء سلاح ماض ، وهو يريد المال لشراء خصومه وعمل طابور خامس وسط أعدائه ، وهو يريد المال للدعاية لنفسه وتجنيد عملاء ..

ولا تشبع هذه الرغبة ولا تنقضي أبدًا .. ولعل أبسط دليل على ذلك هو غزو صدام حسين للكويت ، لقد كان هذا الغزو سطوًا مسلحًا هدفه عدة مليارات من الدنانير ..

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل العراق دولة فقيرة ..

إن الجواب معروف .. إن احتياطي بترول العراق الضخم يجعلها واحدة من أغنى الدول في العالم ، ولكن القيادة الحالية بددت ثروته .

لقد كان صدام حسين يقيم 11 مهرجانًا كل عام .. أي بمعدل مهرجان كل شهر .. وكان يدعو الكتاب والفنانين والصحفيين ويخدعهم ببعض ما يقولونه من شعارات ثم يزودهم بجوائزه وهداياه الثمينة التي وصلت إلى حد إهداء سيارات مرسيدس لرؤساء تحرير الصحف وغيرهم من أبواق الدعاية ..

لم تكن ثروة العراق تكفيه إذن ، لأنه لا يتوقف عن الإنفاق وشراء الضمائر والذمم .. ولا نظن ثروة الكويت تكفيه ، إنما هو في حاجة لثروة الخليج كله ..

الطغيان .. والإنسان

جريدة الحياة

أحضر قطعة من الصلصال وابدأ في توجيه الضربات إليها ، وقل لي ماذا يصير إليه شكلها ..

إن الصلصال سوف يستجيب للضرب وينثني ولكنه سوف يتحول في النهاية إلى شيء مشوه لا تدري هل هو صورة حمامة أو شكل صخرة ..

وهذا ما يقع للإنسان حين يتعرض للقهر ، وهذا ما يحدثه الطغيان من أثر في نفس من يقع عليه ..

لقد صنع الإنسان من الصلصال ..

والصلصال مادة سريعة التأثر .. والإنسان بوصفه كائنًا معقدًا ومركبًا هو الآخر من مادة سريعة التأثر ..

ويتأثر الجنس البشري بالطغيان في أكثر من صورة .. وفي أكثر من مجال .. إن شكل الإنسان يتغير .. كما تتغير فطرته بسبب الطغيان ، كما يتغير سلوكه لو زاد القهر عليه ..

تأمل شكل مجموعة من العمال العائدين بعد عمل يوم شاق كان الأجر فيه أقل مما ينبغي .. وكان القهر فيه أكثر مما ينبغي ..

تأمل وجوه هؤلاء العمال ..

تأمل ملامح وجوههم وقل لي ما هو التعبير الذي تعكسه العينان ؟.

سوف ترى تهدلاً في الملامح ، واستكانة وحزنًا في عمق العينين ، وسوف ترى انكسارًا روحيًا بالغًا تعكسه ملامح الوجه ..

إن الحزن حينما يزيد يترك بصمات أصابعه حيث حل ، ويطبع بطابعه الكائنات والصور ..

والقهر يؤدي إلى الحزن .. ويؤدي الحزن أحيانًا إلى

اليأس ، وحين يستمر هذا كله تتحجر ملامح الوجه وتولد في صورة جديدة لا علاقة لها بجمال الإنسان وحيويته ..

وهكذا ينطفىء تعبير العينين ويتحول الوجه الإنساني إلى قبح لا علاقة له بالإنسان ..

هذا ما يفعله الطغيان بشكل الإنسان ..

إنه يسرق منه جماله .. عندئذ يتربع القبح على العرش آمنًا مطمئنًا .

ليس هذا وحده ما يصنعه الطغيان بالإنسان ..

إن الاستبداد يؤثر في فطرة الإنسان .. ويلويها ويدمرها مع مرور الوقت ..

والأصل أن فطرة الإنسان ــ لو حاولنا تبسيط الأمر ــ هي ميزان القيم الموجود داخل كل إنسان .. وهو ميزان كالضوء الهادي ، يعرف به الإنسان ما هو الخير وما هو الشر .. وما هو الصواب وما هو الخطأ .

والناس جميعًا يولدون على الفطرة ، والفطرة تعرف الله

وتعترف له بالتوحيد وتفرده بصفات الجلال والكمال وتعترف له بأسمائه الحسنى ..

وحين يستمر الطغيان يختل ميزان القيم الإنساني ، إن كفة واحدة منه هي التي تستخدم .. أما الكفة الثانية فقد تحجرت في موضعها ، ومع مضي الوقت يفسد ميزان القيم وينطفىء الضوء الهادي ويتخبط الإنسان في ظلام لا يعرف فيه ما هو الخير وماهو الشر .. ومع تقدم الوقت يتحول الشر إلى خير ويتحول الخير إلى سذاجة وحمق ..

ويفسد الكيان الإنساني كله .. لا يعود الإنسان إنسانًا .. إنما يتحول إلى صورة إنسان .. أو شبح إنسان .

أيضًا يؤثر الطغيان في سلوك الإنسان ، إن استمرار الطغيان يعلم الناس الجبن .. وهو جبن يتحول فيما بعد إلى سجن تعطل فيه الإرادة ويعذب فيه العقل وتنتحر فيه كل الإمكانات الإنسانية ..

نحن نعرف قصة بني إسرائيل مع فرعون ، لقد أخرجهم

موسى من طغيان فرعون ، وشاهدوا شق البحر ، وعاينوا المعجزة الهائلة بأنفسهم ، لم يحدثهم عنها أحد ، ورغم هذا كله ، وبعد هذه المعجزة الرهيبة ، مروا ذات يوم على قوم يعبدون صنمًا لهم فقالوا لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة** ﴾ .

هذا بعض ما يفعله الطغيان بالإنسان .

* * *

جنرالات المقاهي

جريدة الحياة

في مصر عدد لا بأس به من جنرالات المقاهي ..

والمقصود بجنرالات المقاهي هواة السياسة وهواة تحريك الجيوش أو التنبؤ بحركتها من فوق مقاعدهم في المقهى ..

والأصل في الجنرال أنه يقف في غرفة القيادة حيث تنبسط أمامه خريطة لأرض العدو ، وعليها إشارات يستطيع الجنرال أن يقرأ منها إمكانات العدو وتوزيع قواته ..

هذا هو الأصل ..

أما جنرال المقاهي فهو يجلس في المقهي وأمامه الطاولة وكوب الشاي .. وهو يرمي الزهر ويتحدث ، وخلال حديثه يدير المعركة كما يتصورها ويحركها كما يعتقد أنها سوف تتحرك ..

ويكثر جنرالات المقاهي ويزيدون في أوقات الأزمات حتى يمكن القول إن الأزمة هي التي تلدهم من رحمها ..

وهناك سبب آخر لميلاد جنرالات المقاهي ، لعل هذا السبب غصن في شجرة الأزمة هو الآخر ، هذا السبب هو فشل الجنرالات الحقيقيين في إدارة المعركة .. عندئذ يولد جنرالات المقاهي ويبدأون عملهم ..

سنة 1967 وقعت حرب 5 حزيران كما يسميها أهل الشام ، أو 5 يونيو كما يسميها أهل مصر ..

في هذه الحرب .. ظهر جنرالات المقاهي بشكل واضح ، وبدأوا يتحدثون عما حدث ، ويتحدثون عما كان ينبغي أن يحدث ..

وكان هؤلاء الجنرالات يستمعون إلى الإذاعات المحلية والإذاعات العالمية ، ويديرون معركتهم بناء على دعاية الإذاعة المحلية ، وتضخيم الإذاعات العالمية .

ولم يكن ممكنًا للجنرالات الحقيقيين أن يتدخلوا في

الحديث أو يحاولوا تصحيح مساره .

لقد انهزم هؤلاء الجنرالات ، ومن ثم فقد أصدر الرأي العام الداخلي قرارًا بفصلهم ، ومضى يستمع إلى جنرالات المقاهي .

وحين أذاعت القيادة الثورية في مصر ، أن العدو الذي كنا ننتظره من الشرق ، قد جاء من الغرب ، الأمر الذي يؤكد أن عونًا غير معروف كان في خدمته .

حين أذاعت مصر هذا انقسم جنرالات المقاهي إلى قسمين ، قسم اعتبر أن الغرب ليس من الجهات الأصلية الأربعة ، وقسم ضحك طويلاً حتى وقع من فوق كرسيه في المقهى .

ولقد اختفى جنرالات المقاهي حين وقع السلام النسبي ، ولكنهم عادوا جميعًا إلى العمل حين بدأت أزمة الخليج .

هذه المرة كانوا أكثر حرية .

كانت الأحداث تتلاحق بسرعة ، وكان جنرالات المقاهي

يركبون أسرع أفكارهم عدوًا ويحاولون اللحاق بها فلا يستطيعون ..

ورغم ذلك لم يقصر جنرالات المقاهي في واجبهم .

لقد مضوا يحللون الأحداث ويفسرون الأنباء ويبحثون عن خفايا التحركات وينظرون في نوايا الأطراف والخصوم .

في البداية ، كان تفسيرهم لصدام حسين أنه دفع دفعًا إلى فعلته .. إن الحرب التي استمرت أكثر من 8 سنوات قد انتهت بلا شيء .. لا منتصر ولا مهزوم .. هذا يعني نشوء مشاكل في الجيش وهذا يقود إلى وقوع تمرد أو انقلاب .

إن وضع الجيش في عملية جديدة جدير بأن يلغي كل هذه الاحتمالات ، وجدير بشغل الجيش وصرف همته إلى القتال بدلاً من صرف همته إلى التفكير في قيادته .

وكان هذا التفسير معقولاً في البداية ، ولكن تطور الأحداث أضاف مزيدًا من البلبلة إلى الموضوع كله .

على أن جنرالات المقاهي قد انقسموا إلى مدرستين في

التنبؤ بما سوف يصير إليه أمر صدام حسين .

قسم يقول إن أمريكا ستصنع منه هامبورجر بالجبنة والبيض وقسم يقول إنها لن تصنع به شيئًا على الإطلاق ، وإن الأمر مدبر بليل .. والمشكلة أنه لا يوجد من يفصل في هذه القضية الخطيرة في الوقت الحاضر .

* * *

لجنة حقوق الحيوان

بعثت إلي لجنة حقوق «الحيوان» برسالة الاحتجاج التالية ، وهي رسالة موجهة من الذين يسيرون على أربع أقدام للذين يسيرون على قدمين ! .

وهي رسالة تناشد قلوب البشر الحجرية أن يرفقوا بإخوانهم من بني الحيوان ، وسبب الرسالة هو اعتداء صدام حسين على حديقة الحيوان في الكويت ، وتم الاعتداء بالأكل والزلط والهضم .. وكان السبب هو المجاعة التي أسفر عنها غزوه المشئوم الغادر .. قريب ونسيب عائلات الفاجر والقادر ..

كتب الرسالة الأسد الوحيد الباقي في حديقة الحيوان ،

ووقعتها بقية الحيوانات الأخرى معه .

قالت الرسالة : « نحن الوحوش المفترسة في حديقة حيوان الكويت نشكو إلى الله ظلم صدام حسين لإخوانه من بني الوحوش ..

إن الأصل في حدائق الحيوان أنها سجون للحيوان ، وقديمًا كنا نجري في الصحاري والغابات والسافانا ونبرطع في زمن الحرية قبل أن يأسرنا البشر ، ويبيعنا الصيادون لحدائق الحيوان .

ولقد رضينا بالهم ولكن الهم لم يرض بنا .. وخدعنا المخادعون فانخدعنا ، قالوا لنا إن حدائق الحيوان فيها أكل يومي ورعاية صحية وهذه فائدة لنا ، وقالوا إن الناس سوف يتفرجون علينا ، وأنهم سوف يعتبرون ويتعجبون من حكمة الله في خلقه ، وسوف يتعظون من إعجازه في خلائقه .. وهذه فائدة لهم ..

لم يكن في الاتفاق أي بند يشير إلى أن البشر سيأكلوننا ، لقد كففنا نحن ــ الوحوش المفترسة ــ عن أكل البشر منذ

عصور طويلة ، واكتفينا بما تقدمه حدائق الحيوان من وجبات هزيلة . كيف يقع الوفاء منا ، ثم يقع الغدر من بني آدم ..

إن صدام حسين يسير على قدمين ولا يسير على أربع أقدام مثلنا .. هذا يعني أنه ليس حيوانًا وإنما هو بشر ، كيف يصدر عنه تصرف مفترس بينما تصدر عنا نحن المفترسين تصرفات لائقة ؟ إن رأسي ــ وأنا الأسد العظيم ــ يكاد ينفجر من الصداع ، إن صدام حسين أكل الغزالتين الموجودتين في الحديقة ، ثم أكل بعدهما الطواويس ، ثم أكل بعدها البط والإوز والقردة ، ثم أكل الحمير وما زال جائعًا يفكر في التهامي ، ولسوف أنتهز الفرصة وأبعث باستغاثتي إلى لجنة حقوق الحيوان ، مناشدًا إياها أن تسرع لإنقاذنا نحن الوحوش المفترسة من الآدميين المفترسين !!

* * *

حوار مع زلنطحي

حول الحقوق التاريخية

لنا صديق مهذب له صديق زلنطحي ..

قلنا لصديقنا المهذب أحضر لنا صديقك الزلنطحي لنحاوره في أمر انضمامه إلى معسكر كبير الزلنطحية ورائدهم صدام حسين ..

جاء الأخ الزلنطحي وبدأ حواره معنا بأن سألني سؤالاً ..

قال : هل أنت غضبان قوي لأنهم غزوا دولة الكويت ؟

قلت له : أليست دولة مستقلة ذات سيادة ؟ ..

قال : دولة إيه .. هذه شركة نفط ..

قلت له : افترض أنها دكان بقالة .. أليس اجتياحها لونًا من ألوان البغي ؟ ..

قال : بغي إيه ؟ لا بغي هناك .. هناك حقوق تاريخية للعراق في الكويت .

قلت له : أي حقوق تقصد ؟ ..

قال : في وقت من أوقات التاريخ .. وهو وقت الخلافة العثمانية ، كانت الكويت جزءًا من العراق ..

قلت له : وكانت السودان جزءًا من مصر ، وكانت ليبيا والشام جزءًا من مصر أيام الفراعنة .. هل يكفي هذا كمبرر لتهجم مصر وتحتل ليبيا أو السودان ؟ ..

قال الزلنطحي : ولماذا لا تحتلون ليبيا والسودان معًا وتضمونهما إليكم .. إن العالم مشغول بمشكلة المهيب الركن ولن يلتفت إليكم ..

قلت له : هل أنت جاد أم تمزح ؟ ..

قال : جاد جدًا ..

قلت له : نحن نعيش في عالم له قوانين وفيه معاهدات .. ولا نعيش في غابة ..

قال الزلنطحي : بل نعيش في غابة .. دعك من المعاهدات والقوانين .. إن القوة هي العامل المؤثر في التاريخ ، والأمر الواقع هو الأمر الواقع .

قلت له : طبقًا لهذا المنطق تكون إسرائيل على حق .. إن لها في الأرض الموعودة تاريخًا قديمًا .

قال : إسرائيل تقوم على دعوة دينية عنصرية ، وليس للعقيدة مكان محدد .. أما حركة المهيب الركن فهي تهدف إلى الوحدة التي يعجز أصحاب شركات النفط عن فهمها ..

قلت له : من الذي قال لك إن دعوة صدام حسين تهدف إلى الوحدة ؟ وهل تتصور قيام وحدة على الدبابات والغزو المسلح وانتهاك الأعراض ؟ ..

قال : الوحدة هكذا دائمًا .. لقد توحدت دول أوروبا قديمًا بالقوة .

قلت له : كان هذا في العصور التاريخية المظلمة .. أما اليوم فانظر إلى أوروبا كيف تتوحد بالاقتصاد والبرلمان والسياسة والتخطيط ورفع الحدود .

قال الزلنطحي : لابد من الوحدة بالقوة .. نحن شعوب قاصرة وفي مرحلة الطفولة .. ولا يمكن أن يترك لها أمر شئونها ..

قلت له : آه .. هذا منطق الطغاة والمستبدين .. إنهم يبدأون طغيانهم بزعم أن الشعوب قاصرة وفي مرحلة الطفولة ، وهم يبدأون باستحمار هذه الشعوب بعد استعمارها ..

قال الزلنطحي : لابد من صرخة تقول « حي على الجهاد .. » ثم بعد ذلك نغني ... « خللي السيف يجول » .

ضحكت طويلاً من تصويره الموجز لنفسيته الزلنطحية ..

سألني : لماذا تضحك ؟

قلت له : إنك نموذج كلاسيكي للزلنطحي .

قال : وأنت نموذج كلاسيكي للتشرذم .

قلت له : يعني إيه ؟ ..

قال : التشرذم هو الانقسام والتفسخ .. وهو ضد الوحدة اللي ما يغلبها غلَّاب .

قلت له : عافاك الله وشفاك .. بل نريد الوحدة بأسبابها الحقيقية .. لا رقصًا في الأغاني وتهجيصًا في كلام الساسة .

* * *

رسالة مفتوحة إلى د . سعاد الصباح

أميرة الشعر والبيان

بعد التحية ..

لقد تابعنا ما تكتبينه على صفحات الجرائد والمجلات بعد الاجتياح التتري العراقي لشعب الكويت .. ومن قبل ذلك كنا نتابع قصائدك التي كنت تتغنين فيها بأبطال العراق ، وبالرئيس العراقي خاصة الذي بالغت في مدحه وتمجيده إلى درجة كدت تخرجين معها عن الحق والصواب .. وكان البعض يعذرك في ذلك لما عرف عنك بأنك امرأة متحررة ثورية يهزك فعل الأبطال !! وكانت قصائدك مثار جدل ونقاش بين الأوساط الثقافية والأدبية ، بين متألم من إغراقك في المدح إلى درجة

الهيام وبين معجب بأسلوبك السلس الجذاب ..

ولكن ماذا حدث ؟! كيف انقلبت الأمور رأسًا على عقب .. كيف تحول البطل حامي الحمى إلى مجرم وطاغية ؟!.. كيف تحول الجنود الأشاوس الذين لم يساو ــ في نظرك ــ ألف أديب جنديًا واحدًا منهم ؟!

ياللهول !! أهكذا في عشية وضحاها تتغير الأحوال ، وتتبدل الأشياء ؟؟!! إنها لإحدى الكبر أن ينقلب النهار ليلاً ، والليل نهارًا ، والفارس إلى لص .. وحامي الحمى إلى مجرم سفاح ؟!

لقد طافت بمخيلتي هذه الخواطر أثناء قراءتي لمقالك الذي نشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 19 / 2 / 1411هـ ، عدد (4302) تحت عنوان : « ثقافة التهريج على مسرح الخليج » ، والذي تعقبين فيه على مقالة الدكتور حسن الإبراهيم التي كشف فيها أوراق بعض المفكرين العرب ومواقفهم الجبانة والهروبية من أحداث الخليج .. وتتساءلين فيه : « أين هم المثقفون العرب من هذا الزلزال العنيف » .. « وأين هم

المنظرون ، والأيديولوجيون ، والمثاليون ، الذين طالما أمطرونا بآلاف المحاضرات عن الحرية ، والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان .. » إلى آخره . ما جاء في مقالك الذي يثير في النفس الخيبة والتعاسة من موقف المثقفين الذين تهتفين بهم لأن يقولوا كلمتهم في زلزال الكويت .. وأن يقفوا إلى جانب الحق المسلوب .. حق الشعب الكويتي الشقيق ..

نعم لقد هزتني مناشدتك للمثقفين العرب !! هؤلاء المثقفين الذين كان لغزو صدام الإجرامي لدولة الكويت وشعب الكويت فضل كشف القناع عن وجوده كثيرة منهم .. إلا أنني في هذه المناسبة الحزينة أريد أن أذكرك بيوم من أيام صدام المشئومة جمع فيها هؤلاء المثقفين أنفسهم الذين تعاتبينهم اليوم ، وكان مكانك الأثير عن يمينه .. ثم وقفت أنت أيتها الشاعرة لتهزي أعطافه مناشدة إياه بقولك :

« هات لي خوذة جندي عراقي ، وخذ ألف أديب » .

وها هو قد لبّى طلبك فأرسل كل خوذ جنوده يملأ الكويت الشقيق ويأخذ ، ليس كل أديب فيها بل كل مواطن !!

ومع ما في هذا من مرارة إلا أنه يطرح علينا نحن المثقفين قضية تمثل الأزمة الحقيقية التي نعيشها .

هذا الظلم هو ظلم .. سواء وقع علينا أو على غيرنا ؟ وبالتالي يجب علينا أن نقف ضده ونشجبه ونعمل على إزالته ؟ .. أم أنه مشجوب حين يقع علينا .. مسكوت عنه بله ممدوح حين يقع على غيرنا ؟!

وهل قضية الحرية والعدل هي قضية واحدة وقضية موضوعية في كل مكان .. أم هي قضية ذاتية !

وبناء عليه ، فإنه يحق لنا أن نتساءل : هل كان صدام حسين عادلاً فأصبح ظالمًا ؟ هل كان صدام حسين عادلاً عندما كان يذيق العراقيين الموت الزؤام والذل ويبدد أموالهم في المهرجانات التي كان يحشد لها المثقفين العرب منذ أن تسلم الحكم في العراق وحوّل العراقيين إلى عبيد ؟!

هل كان صدام حسين ، وهو يسحق الأكراد بالغازات السامة ، عادلاً ؟ هل كان صدام حسين وهو يضرب الإيرانيين عادلاً .. ؟!

لقد كان صدام حسين ظالمًا لا يجاريه أحد في ظلمه .. كان ظالمًا في كل أعماله منذ أن استولى على الحكم في العراق بالأسلوب الدموي الذي تجرأت بعض الأقلام اليوم فكشفت عن أعماله الإجرامية ..

لقد كان هؤلاء المثقفون وأنت في مقدمتهم يهتفون لصدام ويصفقون له وينفخون فيه إلى ما قبل 2 أغسطس المشئوم ..

أيتها الشاعرة الأديبة المثقفة الثائرة ..

يا أميرة الشعر والبيان ....

إننا نتساءل معك اليوم : أين هم المثقفون الشرفاء الذين يقفون إلى جانب الحق .. وهل آن لكل المثقفين اليوم ــ بعدما تكشفت كل الحقائق وتبينت الأمور للذين كان على عيونهم غشاوة ؟ هل آن لهم أن يقفوا ضد الظالم وضد الظلم حيثما كان وعلى أي نزل ؟ إننا نرجو ذلك ..

وجزى الله الشدائد ألف خير ...

عبدالجواد عبد الستار

البصرة ــ العراق « البلد الجريح »

عزيزي الأخ عبد الجواد .

أتفق معك في كثير مما تقوله ، ولعل الشاعرة سعاد الصباح كانت تظنه بطلاً ثم عرفته على حقيقته . وأنت تعرف يا سيدي أن مبالغات الشعراء جزء من تركيبتهم النفسية ، وأنهم كما قال الحق عنهم : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾ صدق الله العظيم .

* * *

قيادات التيار الديني

لم يدهشني شيء في حياتي مثلما أدهشني موقف التيار الديني ، أو بعض فصائله في أزمة الخليج ..

وتنصرف الدهشة هنا أشد ما تنصرف إلى قيادات هذا التيار .. وهي القيادات المسئولة عن موقفه .

إن بعض هذه القيادات في العالم العربي ــ ولن أحدد هنا أسماء الأشخاص أو أسماء الدول ــ لأنني لا أهاجم هنا وإنما أرصد الظاهرة وأحللها محاولاً فهمها .

بعض هذه القيادات وقفت صراحَة مع صدام حسين .. وهو رجل بعثي علماني له مواقفه المشبوهة الواضحة ضد المسلمين ..

وأهم هذه المواقف أنه حارب الثورة الإسلامية في إيران لحساب أمريكا والغرب ، وحاربها بتمويل من أمراء الخليج ولحسابهم أيضًا ، كيف يطمئن المسلم لجيش أو لقائد جيش له هذا التاريخ ؟ ..

كيف لم يفهم القادة أهداف صدام حسين .. كيف جازت عليهم الخدعة أنه قام في سبيل المستضعفين في الأرض ؟ .. كيف انخدع هؤلاء القادة بمزاعمه وأكاذيبه ؟ إن المسلم هين لين ولكنه كيس فطن .. إن أحدًا لا يخدعه رغم أنه هو نفسه ليس مخادعًا ...

بصراحة ، أنا لا أعرف جواب هذه الأسئلة جميعًا .. وهناك عدة احتمالات ..

أولاً : أن يكون هؤلاء القادة يعرفون فقه العبادات جيدًا ، ويجهلون فقه السياسة والمعاملات ..

ثانيًا : أن يكون هؤلاء القادة من أصحاب التركيبة النفسية التي ترى الأشياء رؤية أنبوبية (من خلال أنبوبة تفصل الحدث عن ظروفه وأسبابه وملابساته ومتغيراته ، وهذا نوع

من أنواع الأسر الفكري) .

ثالثًا : أن يجهل هؤلاء القادة أن غزو صدام حسين للكويت جزء من مخطط سيق إليه أو شُجِّع عليه أو تلقى ضوءًا أخضر ليتقدم .. ثم بعد ذلك تداعت الأحداث كما تداعت ..

مرة أخرى لا أعرف أي احتمال أرجح في هذه الاحتمالات .. ولكن الأمر الذي لا شك فيه .. أن قيادات التيار الديني في حاجة إلى تغيير شامل ..

كان هذا موقف بعض القيادات الدينية خارج مصر .. وهو موقف لم يستنكروا فيه غزو الكويت ، وإنما استنكروا فيه دخول القوات الأمريكية إلى السعودية ، واعتبروا هذا غزوًا للأرض المقدسة ، وشقوا الجيوب ولطموا الوجوه على الكعبة التي استبيحت والمدينة التي أهينت على حين كانت القوات الأمريكية تبعد عن مكة 1500 كيلو متر .

داخل مصر ، اختلف موقف القيادات الدينية .. لم تقع في الخطأ كله ووقعت في نصفه فقط ..

لقد أدانت هذه القيادات غزو العراق للكويت إدانة سريعة ، ولكنها ركزت بعد ذلك معظم بياناتها على الغزو الأمريكي للخليج .. وتصاعدت هذه القيادات بهذا الغزو إلى الحد الذي جعلته معه هو القضية الأولى المطروحة ، وكان هذا يضع هذه القيادات في سلة البيض التي يمسكها صدام حسين .

وقد حضرت عدة اجتماعات ضمت بعض قيادات العمل الديني في مصر ، وكان بعض هذه الاجتماعات في بيت الشيخ يوسف القرضاوي وبعضها في بيت الأستاذ أحمد رائف وبعضها في بيوت الصفوة ، وجلست في هذه الاجتماعات صامتًا معظم الوقت .. كنت أريد أن أستمع لعل الله يهديني إلى الفهم أو يهدي إليّ الفهم .

وفي بداية أحد هذه الاجتماعات قلت لشخصية عامة وهامة في قيادات العمل الديني :

س : نحن في موقف محير .. وهي فتنة كالتي عناها الرسول بقوله : « إنها فتنة تجعل الحليم حيران .. » نريد أن نعرف

رأيكم في غزو العراق للكويت ورأيكم في الجماعات الدينية التي وقفت قياداتها مع صدام حسين .

قالت الشخصية البارزة :

ـ نحن ندين غزو العراق للكويت ، ولكننا ندين وجود القوات الأمريكية في السعودية بشكل أشد ، إن وجود هذه القوات هو الاستعمار بعينه . وهذه القوات لن تخرج من الخليج ..

ومضت الشخصية البارزة تتكلم في الاستعمار التقليدي الذي انتهى في الخمسينيات والستينيات ..

وأردت أن أعترض على المتحدث ولكنني قلت في نفسي :

ـ لقد جئت لأفهم لا لأناقش .. فلأستمع صامتًا إذن .

بعد انتهاء حديثه ، طالب أحد الشباب من الجماعات الدينية الكلمة وعارض قيادته ، وكان منطقه أشد إحكامًا ووعيًا من منطق قيادته .

قال : يا سيدي .. الاستعمار العسكري التقليدي الذي

تتحدث عنه حضرتك قد انتهى ، وحلت مكانه ألوان جديدة من الاستعمار الاقتصادي والسياسي .. لم يعد الاستعمار الجديد في حاجة إلى أن يرسل قوات عسكرية .. إن هذه القوات الأمريكية سوف ترحل فور انتهاء التهديد العراقي أو حل مشكلته .

إن غزو العراق للكويت جعله يسيطر فعليًا على ربع بترول العالم .

لو قفز صدام حسين على بترول السعودية لصار في حوزته نصف بترول العالم تقريبًا ، لهذا السبب جاءت أمريكا ، وحين ينتهي السبب ستخرج أمريكا ، وسبب مجيء أمريكا هو غزو العراق للكويت وظهور النوايا العدوانية لصدام حسين .

راقبت الحوار بين الشاب .. والقيادة ، ورأيت الشاب أكثر وعيًا من قيادته .. وأعترف بأنني عثرت في الجماعات الدينية في مصر على شباب يفوق قياداته في الوعي السياسي وبعد النظر .

لم أفقد الأمل من هذه الجلسات وإنما تعاظم الأمل ولكنه أمل معلق على التغيير .

لقد كشفت أزمة الخليج عن حاجتنا كمسلمين إلى التغيير إلى الأفضل .. وعن حاجتنا كشعوب وحكومات وأجهزة إدارية إلى التغيير نحو الأفضل ..

ولعل هذه هي الحسنة الوحيدة التي أسفرت عنها أزمة الخليج .

* * *

الثورة والثروة

حين توجد الثروة ، ويسوء توزيعها ، وتزداد الفوارق بين الأغنياء والفقراء .. تولد الثورة عادة من رحم الثروة .. وفي أزمة الخليج .. أثيرت هذه القضية فيما ثار من قضايا . ولقد قال الذين حبذوا غزو العراق للكويت :

ــ هذا عدل .. أي صلف كان عليه هؤلاء الكويتيون الأغنياء .. أي علو كانوا يمارسونه على الخلق .. لقد كانوا متكبرين وينظرون إلى الناس نظرة تطل عليهم من عل . كيف تقفون موقف الدفاع عنهم ؟ .

قلت لمحدثي ردًا على كلماته : سوف أفترض جدلاً أن أهل الكويت كانوا كما تقول . وإن كنت أعرف عنهم العكس . إن هذا لا يبرر غزوهم ولا اجتياحهم ولا ترويعهم .

إن العراق دولة غنية من دول البترول ، وهي أغنى من الكويت وإن كان أسلوبها في الإنفاق والتبذير أكبر ..

إن حل قضية الأغنياء والفقراء في العالم العربي لا يكون بالغزو والقتل وهتك الأعراض وتشريد الناس ، إنما يكون الحل بتطبيق شريعة الله تعالى في مال الركاز .. أو ثروة الأرض .

إن خمس هذا المال ($\frac{1}{5}$) ينبغي أن يذهب إلى فقراء المسلمين طبقًا لأوامر الله .

هذه قضية اقتصادية تحل في المؤتمرات والمحافل والندوات والتجمعات الفكرية أولاً .

وتحل بعد ذلك في اللجان المتخصصة بين الدول الإسلامية المنتجة للبترول والدول الإسلامية الفقيرة .

إن المال ــ في الشريعة الإسلامية ــ هو مال الله تعالى ، وقد استخلف عليه البشر .

ولله في المال حقوق .

وهي حقوق يجب أن تذهب لعباد الله الفقراء .. ويجب أن ينزل عنها المستخلفون فيها عن طيب خاطر ، وبحب ، إن الله يبارك في المال الذي تخرج منه حقوق الله . وهو يضاعفه سبحانه .. بينما يمحق الله الربا ويحاربه .

هذه هي القضية كما أحسستها ، وخلط الأوراق فيها يضيع وجه الحق فيها .

ولنكن أكثر صراحة .. إن أمراء الكويت ودولة الكويت لو قورنا بجبار العراق أو نظامه البعثي ، فسوف تكسب الكويت المقارنة دون جدال .

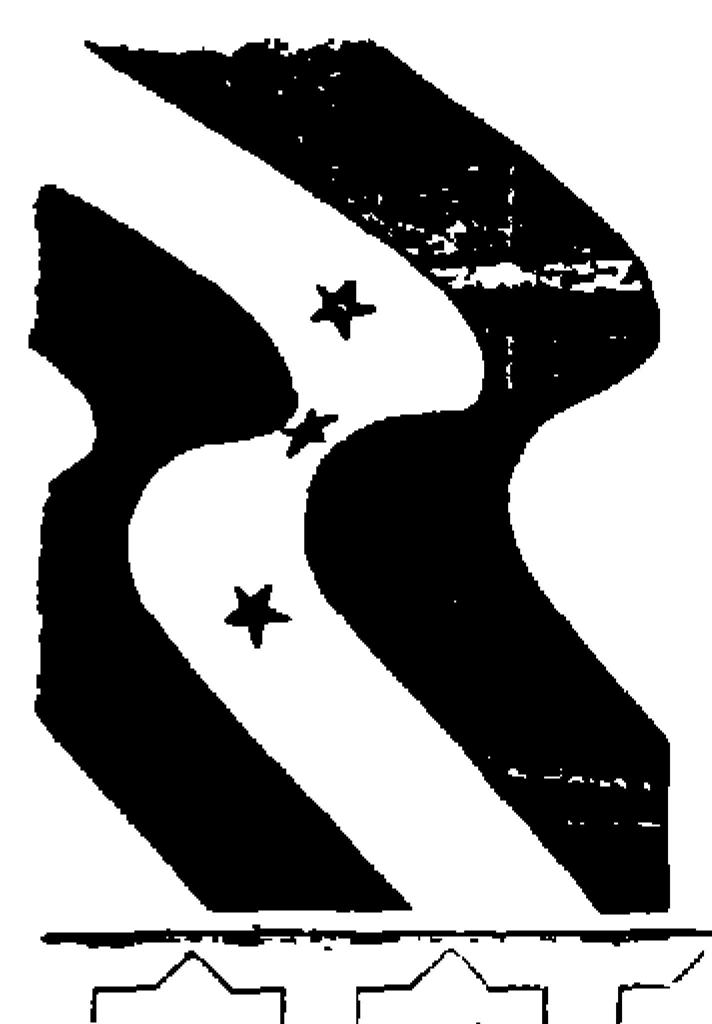
لقد كانت الكويت ـــ كما قال عنها بيان نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة ـــ واحة للفكر والثقافة والبحث العلمي على مستوى الوطن العربي ، وعونًا للعمل العربي المشترك ، وسندًا للثورة الفلسطينية .

ما الذي كانه العراق بنظامه البعثي وجباره الطاغية ؟ ما الذي قدمه العراق للعالم المعاصر ، أو الحضارة الإنسانية ، أو العمل المشترك ؟ هل قدم لهم الغازات السامة والقنابل

الكيميائية . هل هذا هو جهد العراق في المساهمة في الحضارة .. لقد كان دور الكويت أفضل عشرات المرات من جهد العراق .. وكان نظام الحكم في الكويت ــ بالحرية النسبية التي يوفرها لمواطنيه ــ أفضل آلاف المرات من قهر البعث في العراق واستبداد حاكمه .

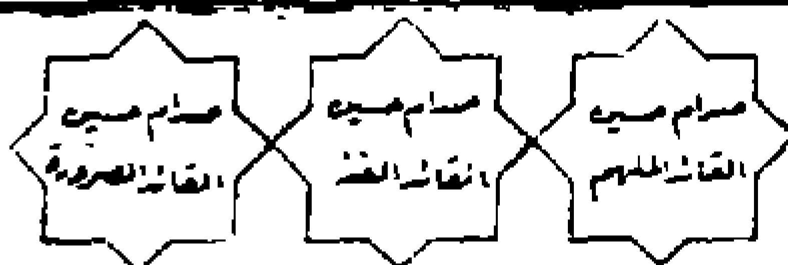
والقضية ليست قضية مقارنة ، إنما هي قضية عدوان باغ على شعب عربي وأمة مسلمة .

* * *



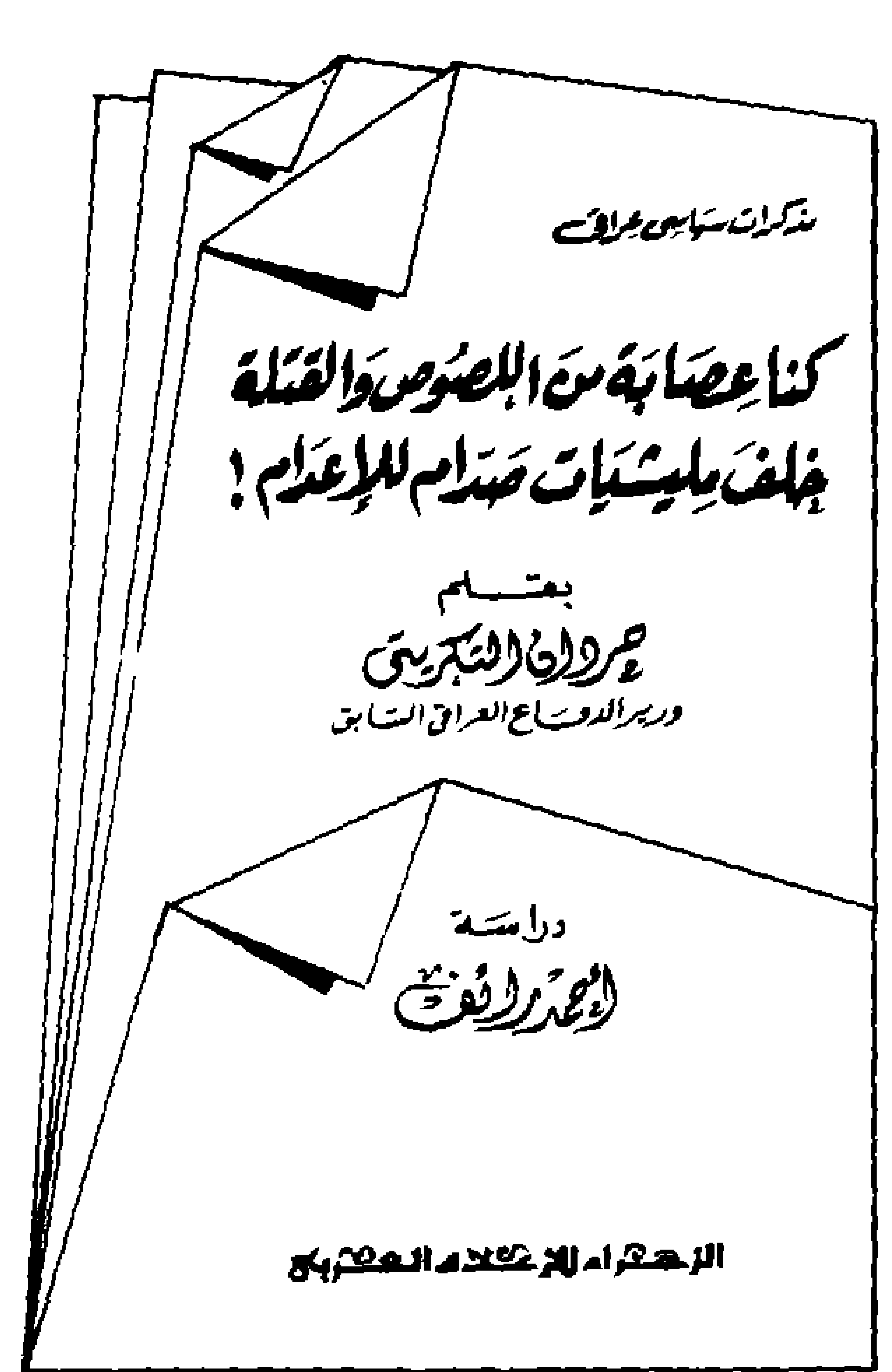


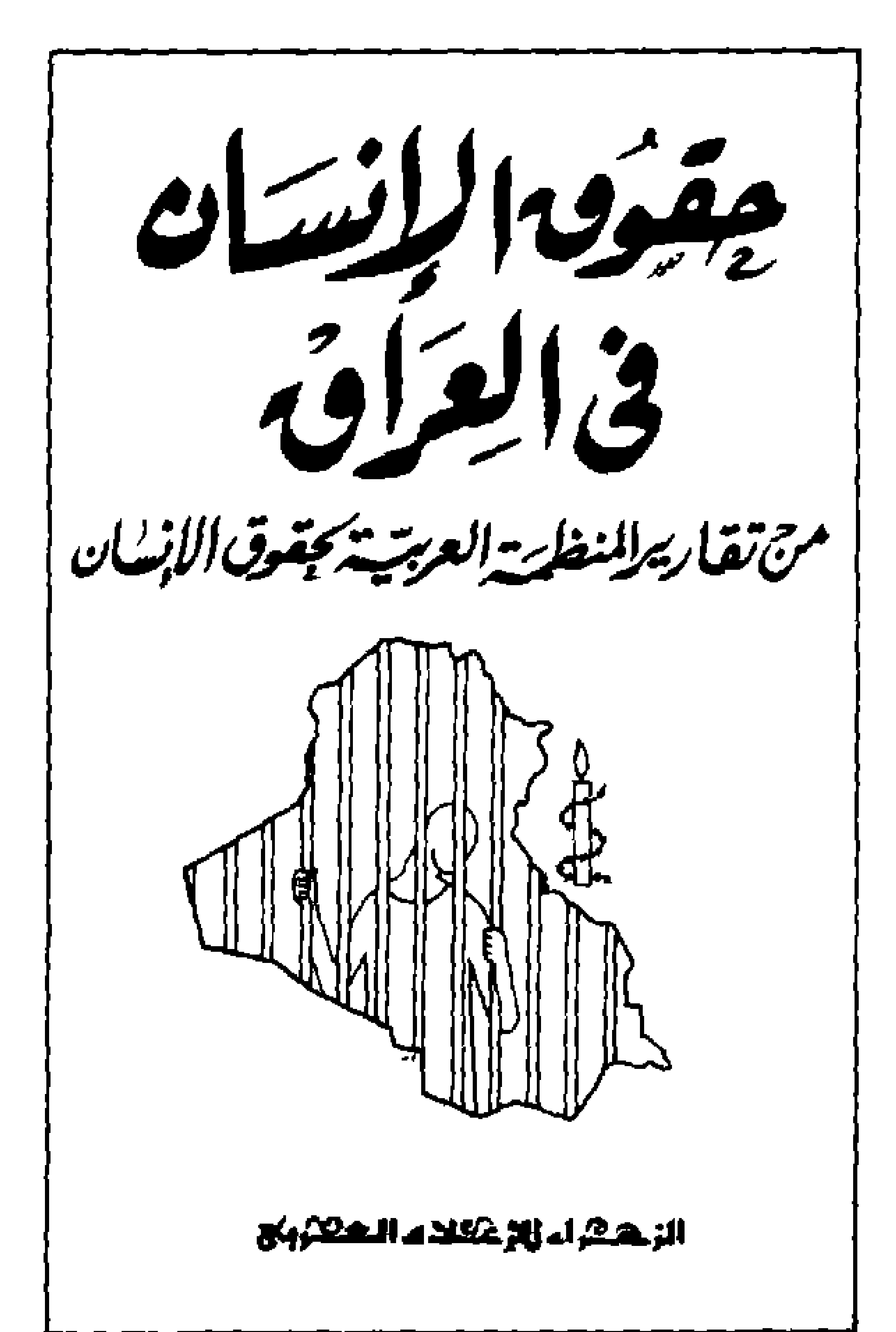




الأسماء الخالدة للرئيس القائد صدام حسين

- صدام حسين القائد [illegible]
- صدام حسين القائد التأريخي
- صدام حسين القائد [illegible]
- صدام حسين القائد الملهم
- صدام حسين القائد [illegible]
- صدام حسين القائد الضرورة
- صدام حسين القائد الرمز
- صدام حسين القائد [illegible]
- صدام حسين القائد المنتصر
- صدام حسين القائد [illegible]
- صدام حسين القائد المظفر
- صدام حسين القائد المنصور
- صدام حسين القائد المفدى
- صدام حسين القائد الشجاع
- صدام حسين القائد المفكر
- صدام حسين القائد المبدع
- صدام حسين القائد الحكيم
- صدام حسين المعلم والقدوة
- صدام حسين حبيب الشعب
- صدام حسين ضمير الأمة
- صدام حسين ابو العراقيين
- صدام حسين حامي الأمة
- صدام حسين حبيب العراقيين
- صدام حسين بطل التاريخ
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين [illegible] العراقيين
- صدام حسين فخر العراقيين
- صدام حسين [illegible] التأميم
- صدام حسين ملهم الإبداع
- صدام حسين راعي الطفولة
- صدام حسين رائد الديمقراطية
- صدام حسين راعي الثقافة
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين بطل الأوطان
- صدام حسين راعي الإبداع
- صدام حسين هبة الله للعراق
- صدام حسين رجل العدالة الأول
- صدام حسين قائد العراق [illegible]
- صدام حسين باني العراق الجديد
- صدام حسين بطل النصر والسلام
- صدام حسين رمز شموخ العراقيين
- صدام حسين قائد النصر والتحرير
- صدام حسين قرة عيون العراقيين
- صدام حسين رمز العزة والكرامة
- صدام حسين قائد النصر والسلام
- صدام حسين هبة البعث للعراق
- صدام حسين هبة العراق للأمة
- صدام حسين عمق التاريخ العراقي
- صدام حسين [illegible] العظيمة
- صدام حسين رمز الرجولة والشجاعة
- صدام حسين [illegible] النصر والتقدم
- صدام حسين قائد المسيرة الظافرة
- صدام حسين صانع المجد العربي
- صدام حسين محرر الفاو وبانيها
- صدام حسين باعث [illegible] العربية
- صدام حسين قائد المستقبل الزاهر
- صدام حسين رجل الحاضر والمستقبل
- صدام حسين رجل الديمقراطية الأول
- صدام حسين رجل المجد والتاريخ
- صدام حسين ابن العراق [illegible]
- صدام حسين حامي المسيرة وبانيها
- صدام حسين [illegible] والعز والعروبة
- صدام حسين هبة السماء في الزمن الصعب
- صدام حسين قائد الحب [illegible]
- صدام حسين رمز العراق وباني [illegible]
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين [illegible] عبقرية الأمة
- صدام حسين ربان سفينة النصر
- صدام حسين رمز العراق ونهضة العربية
- صدام حسين هبة السماء الى هذه الأمة
- صدام حسين القائد النادر بين القادة
- صدام حسين قائدنا نحو النصر والمجد
- صدام حسين رمز الشموخ والعز والكرامة
- صدام حسين العبقرية الفذة والفكر النير
- صدام حسين حامل لواء نهضة الفكر
- صدام حسين الرمز العربي في [illegible]
- صدام حسين قائد الثورة وإنجازاتها العظيمة
- صدام حسين قائد الأمة وباني مجدها التليد
- صدام حسين [illegible] الأمة وحامل لواء النصر
- صدام حسين بطل النصر ورمزه وصانعه
- صدام حسين [illegible] العربية
- صدام حسين [illegible] للعراق والعراقيين
- صدام حسين ابن الشعب البار
- صدام حسين [illegible] المسيرة وعز العراق
- صدام حسين العبقرية الملهمة والوطنية [illegible]
- صدام حسين الرمز العربي [illegible] طموحات العراقيين
- صدام حسين مثل الشعب وقائد معاركه النضالية
- صدام حسين قائد الشعب [illegible]
- صدام حسين معجزة قومية [illegible]
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين رمز العقل العربي [illegible]
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين الشخصية الحضارية للإنسان العربي
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين رمز السيادة والكرامة [illegible]
- صدام حسين قائد الحياة في العراق [illegible]
- صدام حسين [illegible]
- صدام حسين [illegible] العربية

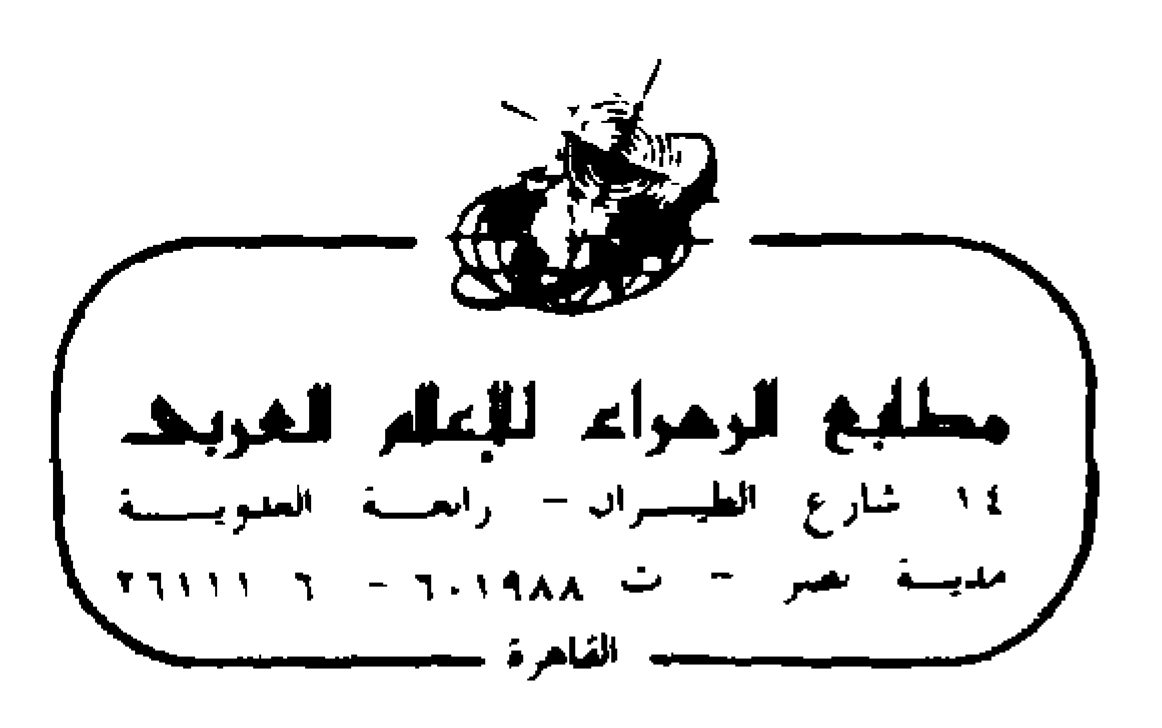

مذكرات سياسي عراقي
كنا عصابة من اللصوص والقتلة
خلف مليشيات صدام للإعدام!
بقلم
حردان التكريتي
وزير الدفاع العراقي السابق
دراسة
أحمد رائف
الزهراء للإعلام العربي


حقوق الإنسان
في العراق
من تقارير المنظمة العربية لحقوق الإنسان
الزهراء للإعلام العربي


السفاح
بين العراق الذبيح
والكويت الجريح
محمد العباسي
العراق
الزهراء للإعلام العربي

رقم الإيداع : ١٩٩٠ _ ٨٤٢٧

الترقيم الدولى : ٩٧٧ _ ٢٥٧ _ ٨٠٠ _ ٤



طاغية البعث

كان الأستاذ أحمد بهجت أحد الكتاب القليلين في العالم العربي الذين لم يخدعهم صدام حسين بأساليبه المتعددة المختلفة . وظل رأيه فيه ثابتًا لم يتغير أبدًا في أي لحظة من الوقت . وقف ضده والعالم كله معه . نقده وأظهر جرائمه في وقت لم يستطع فيه غير القلة أن يجهروا بهذا وسط جو خانق وإعلام موجه ، بحيث لا يملك كاتب حر أن يجهر بما يعتقد دون خوف أو وجل .

أحمد را

الزهراء للإعلام العربي